

لجنة إحياء التراث

القصص الحق

لسيد الخلق صلى الله عليه وسلم

السلسلة الخامسة

جمع وشرح فضيلة الشيخ الإمام

محمد خليل الخطيب النيدى

شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم

إشراف فضيلة الشيخ

محمود محمد خليل الخطيب

رئيس جمعية شاعر الرسول ﷺ

جمعية شاعر الرسول ﷺ الخيرية الإسلامية بطنطا

لجنة إحياء التراث

القصص الحق

لسيد الخلق ﷺ

الجزء الخامس

جمعها وشرحها شاعر النبي ﷺ

الشيخ الإمام

محمد خليل الخطيب

أشرف على طبعه

محمود محمد خليل الخطيب

شيخ الطريقة الخطيبية الشاذلية

بجمهورية مصر العربية

١٤٣١هـ - ٢٠٠٩م

القصة الصادقة ، والعظة البالغة، والبلاغة المعجزة

القصص الحق لسيد الخلق ﷺ

جمعها وشرحها شاعر النبي ﷺ

فضيلة الإمام الشيخ

محمد خليل الخطيب النيدي

****

رسولَ الله شـاعرُك الخطيـبُ — له في جاهك الأمـل الرحيـبُ
ولن يشقى وأنت لـه حبيـبُ — وفيك له مـن الشـعر اليتـيمُ
إليكَ أُهْدي أجَلَّ الرُّسْلِ قاطبَةً — خمسينَ نِيديَّـةً نُصْـحاً لأُمَّتكَـا
غرَّاءَ مشرِقَةً ، سـرَّاءَ ذاكِـرَةً — سَبيلَ مَنْ فاز في الدَّارَيْنِ أوْ هَلَكَا
منكمْ إليكمْ ، وأرْجو أن تَقبَّلَهَا — من شاعرِ الْحَضرَةِ الغراءِ حَضْرَتكا
وشِعرهُ ما تعدَّاكُمْ وعِتْـرَتَكُمْ — فَاشْفَعْ له ولمنْ يهـواه أوْ تَرَكَـا

(الخطيب)

٢٢٠ - تأويل عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ.

عَنْ أَبِي بَكْرٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الآيَةَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)[١]. وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا ظَالِمًا فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ[٢] أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بعقاب[٣]). وقال أَبو أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ : سألت أَبَا ثَعْلَبَةَ عن(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ... الآية) فقَالَ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا. سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ[٤]: (بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا[٥]، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً[٦]، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ[٧]، وَدَعِ الْعَوَامَّ[٨] فَإِنَّ مِنْ

---

(١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ آية ١٠٥ من سورة المائدة .

(٢) أوشك : قرب.

(٣) قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: قال عمر بن عبد العزيز: إن الله تعالى لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن إذا ظهرت المعاصي فلم ينكروها فقد استحق القوم جميعاً العقوبة.

(٤) هذا بيان للآية.

(٥) شحاً مطاعاً : أي بخلاً شديداً ، قال المناوي: الشح المطاع : هو الذي يطيعه صاحبه في منع الحقوق التي أوجبها الله عليه أو ندب إليها: كمنع الزكاة ، والنفقة الواجبة ، وصدقة التطوع وما أشبه ذلك.

(٦) دنيا مؤثرة : أي مختارة مقدمة على الآخرة.

(٧) فعليك بخاصة نفسك: الزم ما ينفعك في دينك ودنياك.

(٨) وفي رواية: ودع أمره.

وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ[١] مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ.) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ قَالَ: (بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ[٢]).

رواهما الترمذي بسند صحيح وأبو داود بسند حسن[٣].

---

(١) قال المناوي: الصبر فيهن يعني على العبادة ومخالفة ما الناس عليه، والقيام بالعبادات مثل القبض على الجمر للمشقة الحاصلة بسبب ذلك .

(٢) قال شيخنا الخطيب: ظاهره الترغيب في العمل زمن الفساد وإلا ففضل الصحابي لا يناله من بعده ، على أنه لا يبعد أن يشاركهم مَنْ عداهم في الفضل بالعمل أمَّا الصحبة فقد خصوا بها فضلاً.

(٣) سنن الترمذي كتاب التفسير – حديث رقم ٣٠٥٨، سنن أبي داود – كتاب الفتن – حديث رقم ٤٣٤١ .

ما يؤخذ من الحديث:

- الرجوع إلى أهل العلم في استنباط أحكام الآيات.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب خيرية هذه الأمة لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ آل عمران آية رقم ١١٠ .
- إن الظلم يكون سبباً في عموم العذاب إذا لم يأخذوا بقوة على يد الظالم ويمنعوه عن ظلمه.
- إنكار المنكر واجب على كل مسلم قادر على تغييره فباليد والقوة: للأمراء وأصحاب السلطان وذوي المناصب كل في موقعه. وباللسان: للعلماء. وبالقلب: للعامة. وينبغي أن يقصد بذلك وجه الله وإعزاز الدين لا حمية نفسه.
- أسباب ضلالة العامة : شح مطاع وهوى متبع ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه.

- فضل ثواب العمل بالكتاب والسنة والصبر على ذلك وما يتحمله المؤمن من الألم الشديد في سبيل ذلك.
- إخبار النبي ﷺ بما يحدث من الأمور الغيبية والمشقة التي يلقاها الصالحون في زمن الفتن.
- حرص الصحابة على السؤال عن أجر العاملين وإجابة النبي ﷺ لهم.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه منظومة الآداب:

وأمرك بالمعروف والنهي يا فتى	عن المنكر اجعل فرض عين تُسَدَّدِ[1]
على عالمٍ بالحظر والفعل لم يقم	سواه به مع أَمْنِ عدوانِ معتدِ
ولو كان ذا فسق وجهل وفي سوى الـ	ـذي قيل فرضٌ بالكفاية فاحددِ[2]
وبالعلما يختص ما اختص علمه	بهم وبمن يستنصرون به قدِ[3]
وأضعفه بالقلب ثم لسانه	وأقواه إنكار الفتى الجلدِ باليدِ[3]

(١) اجعل: التزم به. تُسَدَّدُ: توفق.

(٢) الذين يكون عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين هم: العلماء بالأمور الواجب فعلها والمحظور عملها ولا يوجد سواه يقوم بذلك مع أمن عدوان من يعتدي عليه عند أدائه لذلك.

وإن وجد من يقوم بذلك العمل فإنه يكون فرض كفاية إذا قام به فرد سقط عن الآخرين.

(٣) يختص الأمر والنهي بالعلماء كل فيما خصص فيه وأولياء الأمور الذين يعاونون العلماء.

قَدِ: اقطع بذلك.

(٤) الجلد: القوي.

٢٢١ - مسروق والسيدة عائشة - رضي الله عنهما يتحاوران

قال مَسْرُوقٌ[١] ﷺ : كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ: ثَلاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ[٢].مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ عَلَى اللَّه[٣]. واللَّـهُ يَقُـولُ: (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ)[٤].(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا

---

(١) هو مسروق بن الأجدع التابعي الفقيه الزاهد وكان قاضياً بالكوفة لا يأخذ على القضاء رزقا، رحل من الكوفة إلى المدنية ليسمع رأي السيدة عائشة في موضوع رؤية رسول الله ﷺ لربه فسلم من وراء حجاب ثم جلس واتكأ ثم قال: يا أماه : هل رأى محمد ﷺ ربه؟.

(٢) الفرية بكسر الفاء وسكون الراء: أي الكذب الشديد ، يقال : فـرى الشـيء يفريه فريا ، وافتراه يفتريه افتراء إذا اختلقه.

(٣) هذا هو مذهب عائشة – رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ لم يـر الله سـبحانه وتعالى ليلة الإسراء.

قال الحافظ ابن حجر : وقد اختلف السلف في رؤية النبي ﷺ ربـه ، فـذهبت عائشة وابن مسعود إلى إنكارها، وذهبت جماعة إلى إثباتها، وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسين أنه حلف أن محمداً ﷺ رأى ربه ، وأخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير إثباتها ، وكان يشتد عليه إذا ذكر له إنكار عائشة ، وبـه قـال سائر أصحاب ابن عباس ، وجزم به كعب الأحبار والزهري وآخرون وهو قول الأشعري وغالب أتباعه .

(٤) آية رقم ١٠٣ من سورة الأنعام. ووجه الاستدلال بها أن الله عز وجل نفـى أن تدركه الأبصار ، وعدم الإدراك يقتضي نفي الرؤية .

وأجاب مثبتوا الرؤية : بأن المراد بالإدراك الإحاطة ، وعدم الإحاطة لا يسـتلزم نفي الرؤية .

=

وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) [١]. وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِي [٢] وَلا تَعْجَلِينِي [٣]. أَلَيس يَقُول اللَّهُ: (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) [٤]. (وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ) [٥]؟ قَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ من سأل عن هَذا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ [٦]: (إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ [٧] مَا رَأَيْتُهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي خُلِقَ فيهَا إلا هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ [٨] رَأَيْتُهُ مُهبطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا [٩] عِظَمُ خَلْقِه مَا

=وقال النووي: لم تنف عائشة الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها فيه حديث لذكرته، وإنما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرت من ظاهر الآية، وقد خالفها غيرها من الصحابة، والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقاً.

(١) تمام الآية : " أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ " آية ٥١ من سورة الشورى .

ووجه الاستدلال بها أن الله تعالى حصر تكليمه لغيره في ثلاثة أوجه : وهي الوحي؛ بأن يلقي في روعه ما يشاء، أو يكلمه بغير واسطة من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً فيبلغه عنه ، فيستلزم ذلك انتفاء الرؤية حال التكلم .

(٢) انظريني : من الإنظار أي أمهليني .

(٣) لا تعجليني : أي لا تسبقيني . قال في القاموس: أعجله سبقه .

(٤) آية ١٣ من سورة النجم .

(٥) آية ٢٣ من سورة التكوير. قال المباركفوري ظن مسروق أن الضمير المنصوب في قوله: " ولقد رآه " في هاتين الآيتين راجع إلى الله سبحانه وتعالى فاعترض على عائشة — رضي الله عنها .

(٦) قال: أي رسول الله ﷺ .

(٧) إنما ذاك جبريل : أي هذا المرئي هو جبريل لا الله سبحانه وتعالى .

(٨) إلا هاتين المرتين : أي مرة في الأرض بالأفق الأعلى ، ومرة في السماء عند سدرة المنتهى .

(٩) ساداً : أي مالئاً .

بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ [١]) وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّداً كَتَم شيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ فَقَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ عَلَى اللَّه. وَاللَّهُ يَقُولُ: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) [٢]. وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ محمداً يَعْلَمُ ما فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّه الْفِرْيَةَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: (قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاّ اللَّهُ) [٣].

رواه الترمذي والشيخان[٤]، وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: (نُوراً أَنَّى أَرَاهُ [٥]).

---

(١) قال صاحب التاج: الظاهر أن هذه هي مرة الأفق المبين ، وكانت في البقيع بالمدينة ، والمرة الأخرى عند سدرة المنتهى ليلة الإسراء .

(٢) آية رقم ٦٧ من سورة المائدة .

(٣) آية ٦٥ من سورة النمل .

(٤) فتح الباري ج ٨ ص ٦٨ . صحيح مسلم كتاب الإيمان رقم ١٧٧، سنن الترمذي – كتاب التفسير – رقم ٣٠٦٨.

(٥) نوراً أنى أراه: أي كيف أراه . قال صاحب التاج: وظاهره أن الرؤية لم تقع له فكيف لغيره وعلى هذا كثير من السلف والخلف فإذا تجلى بنوره الذي هو نور فلا يمكن لمخلوق رؤيته وإلاّ احترق كما ورد في الحديث: " حجابه النور لو كُشف لأحرقت سُبُحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره" فالله تعالى محتجب لا محجوب والسبحات جمع سبحة كغُرفات جمع غرفة وهي صفات الجلال والجمال سميت سبحات لأنه يسبَّح عند رؤيتها. والوجه: الذات. فمعنى الحديث أن الله تعالى لو أزال الحجاب المانع من رؤيته وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته. ولكنه تجلى لمحمد ﷺ بغير ذلك حتى رآه. [التاج ج ٤ ص ٦٨ – ص ١١٥ – ص ٢٤٦).

رواه مسلم (١).

وقال ابن عباس والجمهور: رآه ليلة الإسراء ، وهذا في الدنيا أما في الآخرة فيراه المؤمنون . فقد ورد في الترمذي أن عكرمة قال: سألت ابن عباس : هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقال ابن عباس: رأى محمد ربه. فقلت: أليس الله يقول: ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ قال: ويحك ذلك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره. وقد رأى ربه مرتين. الترمذي ٣٢٧٩ وقال: حسن غريب.

وفي الترمذي أيضاً عن الشعبي قال: لقى ابن عباس كعباً بعرفة فسأله عن شيء فكبَّر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس: إنَّا بنو هاشم. فقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين. الترمذي ٣٢٧٨ .

وروى النسائي عن عكرمة عن ابن عباس قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد عليهم السلام.

وعن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: نور أنى أراه. وفي رواية : رأيت نوراً. ١٧٨ النسائي.

وعن محمد بن كعب قال: قالوا يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: رأيته بفؤادي مرتين . ثم قرأ ﴿ مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾.

عن عباد بن منصور قال: سألت عكرمة عن قوله: ﴿ مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ فقال عكرمة : تريد أن أخبرك أنه قد رآه؟ قلت: نعم. قال: قد رآه ثم قد رآه. فسألت عنه الحسن فقال: قد رأى جلاله وعظمته ورداءه.

(١) صحيح مسلم — كتاب الإيمان رقم ١٧٨ .

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه بشرى العاشقين تحت عنوان الإسراء والمعراج:

وَزُجَّ في النور نورُ النور منفرداً يهتز بالحال كالمصباح في النَّسَم[١]
والمستوى حينما وافيتَهُ سمعت أذناك أبدع ترنيم من القلم [٢]
وجزته لبساط الإنس مخترقاً حجب الضياء فلم تسمع لبنت فم
ورهبة من جلال بالغ عَرَضَت فذادها عنك معسول من الرنم[٣]
ما زلت تسمو إلى أن نلت منزلة وطئت فيها بساط القرب بالقدم
وقد رأيت الذي لا شيء يشبهه سبحانه عن سمات الجسم والنسم[٤]
سجدت شكراً فنادى يا محمد قم وسلنِ ما شئت من فضلي ومن كرم
فقمت تذكر آلاء العظيم على بعض النبيين حتى قال ذو العظم
إن كنت أعطيتهم مني كذا وكذا فكم منحتك يا عبدي وكم وكم؟
أسلم وهاجر وجاهد زكّين وصم وصلّ خمسين في الإصباح والقتم
وقد غدت بكثير من مراجعة خمساً لدى فعلها خمسين في القيم
والسِّرُّ في ظاهرٍ يُسْرُ الصلاة ولاً أراه إلاّ ليسر المدِّ من حكم
وأن يعدِّدَ مرأى الربِّ مغتنما منه الذي لا يَحُدُّ الوصف من نعم
لئن حمى ذاته موسى وكلمه فقد رأى من أراه الذات من أمم [٥]
وشام ساطع أنوار الشهود به ونال منها اغتناماً أي مغتنم
لذا أشار عليه أن يراجعه لحظّه فوق ما أبداه من رأم[٦]
من فاته الغاية الكبرى وأمكنه منال من نالها يحزم ويغتنم

(١) النسم: الريح (٢) الترنيم : التصويت. (٣) ذادها: دفعها.
والرنم : الصوت. وذلك أنه ﷺ عرضت له رهبة حيث لا أنيس فأسمعه الله ما يشبه صوت أبي بكر لتزول وحشته . (٤) النسم : الأرواح.
(٥) أمم : قرب. (٦) الرأم : العطف.

٢٢٢ – اليهودي الذي لطم وجههُ الصحابيُّ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺقَالَ: جَاءَ رجلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَدْ لُطِمَ وَجْهُهُ[١]. وقَالَ يا محمد[٢]: إنَّ رَجُلاً مِنَ أصحابِكَ مِنَ الأَنْصَارِ لَطَمَ وَجْهِي . قالَ: (ادْعُوهُ) فَدَعَوْهُ. قالَ : (لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟) قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي مررتُ بالْيَهُودِيِّ فَسَمِعْتُهُ يقولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ ، فَقُلْتُ: وَعَلَى مُحَمَّدٍ؟ وأخذتني غَضْبَةٌ فَلَطَمْتُهُ[٣]. فقال: (لا تُخَيِّرُونِي[٤] من بَيْنِ الأَنْبِيَاءِ فَإِنَّ

---

(١) وفي رواية: (بينما يهودي يعرض سلعة أعطى بها شيئاً فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر). وفي رواية أبو هريرة: (استبَّ رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً ﷺ على العالمين – في قَسَمٍ يُقْسِم به- فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين. فرفع المسلم يده فلطم اليهودي). وقال ابن حجر: إنما صنع ذلك لما فهمه من عموم لفظ العالمين فدخل فيه محمد ﷺ ولقد تقرر عند المسلم أن محمداً أفضل لما روى أن المسلم قال لليهودي حين قال ذلك : (أي خبيث؛ على محمد؟) وفي رواية : (فلطم وجهه فقال: أتقول هذا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا) فدل ذلك على أنه لطم اليهودي عقوبة له على كذبه عنده.

(٢) وفي رواية: (فقال اليهودي: يا أبا القاسم إن لي ذمة وعهداً فما بال فلان لطم وجهي؟).

(٣) وفي رواية: (فقال لم لطمته؟ – فذكر أسباب لطمه لوجه اليهودي – فغضب النبي ﷺ حتى رؤى في وجهه) .

(٤) لا تخيروني: وفي رواية: (لا تفضلوني) إنما قالﷺ ذلك تواضعاً وإلا فهو أفضل الخلق. وقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي ﴾ الأعراف/ ١٤٤. قال القرطبي في تفسير هذه الآية: الاصطفاء: الاجتباء. أي فضلتك ولم يقل على الخلق لأن من الاصطفاء أنه كلّمه وقد كلم الملائكة وأرسله وأرسل غيره فالمراد على الناس المرسل إليهم.

قال الحافظ ابن حجر: قال العلماء: في نهيه عن التفضيل بين الأنبياء : إنما نهى عن=

النَّاسَ يَصْعَقُونَ[(١)] يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فإذَا أنا بمُوسَى آخذٌ بقائمةٍ من قوائِمِ الْعَرْشِ فَلا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ[(٢)]). رواه الثلاثة[(٣)].

=ذلك من يقوله برأيه لا من يقوله بدليل أو يقوله بحيث يؤدي إلى تنقيص المفضول أو يؤدي إلى الخصومة والتنازع ، أو المراد لا تفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يترك للمفضول فضيلة. وقيل النهي عن التفضيل إنما هو في حق النبوة نفسها كقوله تعالى: ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ ولم ينه عن تفضيل بعض الذوات على بعض لقوله: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ . وقال الحليمي: الأخبار الواردة في النهي عن التخيير إنما هي في مجادلة أهل الكتاب وتفضيل بعض الأنبياء على بعض بالمخايرة ؛ لأن المخايرة إذا وقعت بين أهل دينين لا يُؤمَن أن يخرج أحدهما إلى الازدراء بالآخر فيفضي إلى الكفر ، فأما إذا كان التخيير مستنداً إلى مقابلة الفضائل لتحصيل الرجحان فلا يدخل في النهي.

وإنما كان قول رسول الله ﷺ في شأن نبي الله يونس بن متى: " لا ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى) وخصه بالذكر لما يخشى على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيصٌ له فبالغ في ذكر فضله لسد الذريعة. قاله ابن حجر.

(١) يصعقون : يموتون بالصعقة ، إذ الصعق والصعقة : الهلاك والموت . قال القاضي عياض: يحتمل أن تكون هذه الصعقة فزعٌ بعد بعث حين تنشق السماء ويؤيده قوله في الحديث " أفاق " لأنه إنما يقال أفاق من الغشي ، وأما الموت فيقال : بعث منه ، وصعقة الطور لم تكون موتاً .

(٢) قوله : " أم جوزي بصعقة الطور " أي التي ذكرها الله بقوله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ آية رقم ١٤٣ الأعراف .

وفي رواية: (فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله) أي استثناهم الله بقوله: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾.

(٣) صحيح البخاري – كتاب الخصومات – حديث رقم ٢٤١١، صحيح مسلم حديث رقم ٢٣٧٣ .

يؤخذ من الحديث الشريف:

- أن الحاكم لا يقضي للمدعي بل يأمر بإحضار المدعى عليه ليسمع قوله.
- الإيجاز في سؤال رسول الله ﷺ حيث قال للصحابي: لم لطمت وجهه؟ ولم يسأله: هل لطمت وجهه؟
- تأدب الصحابة مع رسول الله ﷺ وحميتهم وغيرتهم على مقامه حيث استحضر الصحابي قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾. وقوله ﷺ: " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلاّ تحت لوائي".
- تعنت اليهود وعدم إذعاهم وإيماهم برسول الله ﷺ .
- تواضع رسول الله ﷺ مع رفعة مكانته وأنه أول من يفيق عند الصعق يوم القيامة.
- ظهور عدل الله يوم القيامة حيث إن نبي الله موسى عليه السلام جوزي بصعقة الطور.

- ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه روضات الخطيب في قصيدته الروضة الفيحاء في مدح سيد الأنبياء.

خلقت منزهاً من كل عيب	فلم يعلق بذاتك أي ريب
ومن يحكيك في فضل وسيب	وسيبك ناهل منه العموم
دعاك لقدسه فوق البراق	وفيه أممت جمهرة الرفاق
وبالمعراج رحت على الطباق	وذا شرف لمن فيها جسيم
ذراه الله أفضل من ذراه	وشد فؤاده حتى رآه
وكلمه وعيناه تراه	وخر ولم ينل ذاك الكليم
رعاك الله يا طه رعاكا	فسبحان الذي أولاك ذاكا
ومن يجحده يجحد من براكا	وحُقّ له صَغَارٌ مستديم

٢٢٣ – إبليس وحواء

عَنْ سَمُرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَمَّا حَمَلَتْ حَوَّاءُ طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ وَكَانَ لا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ[١] فَقَالَ: سَمِّيه عَبْدَ الْحَرْثِ فَسَمَّتْهُ عَبْدَ الْحَرْثِ فَعَاشَ ذَلِكَ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ[٢]).

---

(١) لا يعيش لها ولد: كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولاداً فَيُعَبِّدُهُمْ لله ويسميهم عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك فيصيبهم الموت. فأتاهما إبليس فقال: إنكما لو سميتماه بغير الذي تسميانه لعاش .

(٢) أورد القرطبي هذا الحديث في تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الأعراف الآية ١٨٩ – ١٩٠.

فقال: قال الكلبي: إن إبليس أتى حواء في صورة رجل لما اثقلت بعد ما حملت فقال: ما هذا الذي في بطنك ؟ قالت: ما أدري. قال: إني أخاف أن يكون بهيمة. فقالت لآدم عليه السلام. فلم يزالا في همٍّ من ذلك. ثم عاد إليها فقال– عن نفسه: هو من الله بمنزلة فإن دعوت الله فوَلَدْت إنساناً أفتسميه بي؟ قالت: نعم: قال فإني أدعو الله. فأتاها وقد ولدت فقال: سميه باسمي. فقالت: ما اسمك؟ قال: الحارث. (ولو سمى لها نفسه لعرفته) فسمته عبد الحارث.

فإن آدم وحواء عليهما السلام وإن غرهما بالله الغرور فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين على أنه قد سطر وكتب. قال: قال رسول الله ﷺ: " خدعما مرتين خدعهما في الجنة وخدعهما في الأرض).

وقال: إختلف العلماء في تأويل الشرك المضاف إلى آدم وحواء. قال المفسرون: كان شركا في التسمية والصفة لا في العبادة والربوبية. وقال أهل المعاني: إنهما لم يذهبا إلى أن الحارث ربهما بتسميتهما ولدهما عبد الحارث. لكنهما قصدا أن الحارث كان سبب نجاة الولد فسمياه به كما يسمى الرجل نفسه عبد ضيفه على جهة الخضوع له لا على أن الضيف ربه.

رواه الترمذي والحاكم وصححه[1].

---

(١) سنن الترمذي – حديث رقم ٣٠٧٧ ، التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ١٢١ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه وحي الحديث تحت عنوان " حب الله طاعته" :

إياك والشيطان تقفو إثره فتزل عن قصد السبيل خطاكا

واحذر مخادعة الرَّجيم فربما تخذ الجميل إلى القبيح شباكا

ودعاك للشنعاء دعوة مخلص حتى إذا قارفتها خلاكا

أفتدَّعي عقلاً وحُسنَ تَبَصُّرٍ وتعين من عاداك في مرداكا

لا عز إلا للمطيع ومن عصى فله المذلة ها هنا وهناكا

٢٢٤ – النبي ﷺ يستشير أبا بكر وعمر في أسرى بدر

عن ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – أنَّ النبيَّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ لأَبي بَكْرٍ وَعُمَرَ: (مَا تَرَوْنَ في هذه الأُسَارَى[١]). فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّه هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ منهُمْ فدْيَةً فَتَكُونُ لَنا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ للإِسْلامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: (مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ!) قال: لا وَاللَّه يَا رَسُولَ اللَّه مَا أَرَى الَّذي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَنا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ فَتُمَكِّنَ عَليًّا منْ عَقيلٍ[٢]. فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمَكِّنِّي منْ فُلانٍ[٣]. فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَإِنَّ هَؤُلاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَاديدُهَا[٤]. – فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قَالَ عُمَرُ[٥]، فَلَمَّا كَانَ منَ الْغَدِ جِئْتُ[٦] فَإِذَا رَسُولُ اللَّه ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ

---

(١) وكانوا نحو سبعين .

(٢) أخيه .

(٣) يريد قريبا له .

(٤) عظماؤها واحده صنديد .

(٥) وفي رواية: فخرج رسول الله ﷺ فقال: " إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن ويشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة . مَثَلُك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال: ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ إبراهيم / ٣٦. ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى إذ قال: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ المائدة / ١١٨. ومثلك ياعمر كمثل نوح عليه السلام إذ قال: ﴿ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾ نوح/٢٦. ومثلك يا عمر مثل موسى إذ قال: ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ يونس/ ٨٨ . وأمر منادياً فنادى في الناس إن من يفدي نفسه بعشرين أوقية من الذهب يطلق سراحه فجاءوا بالفداء ، وأطلق سراحهم ، فأنزل الله الآيات عتاباً على هذا.

(٦) أي عمر بن الخطاب الذي سمع ابن عباس هذا الحديث منه.

يَبْكِيَان قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّه أَخبِرْني مِنْ أيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وإلاَّ تَبَاكَيْتُ لِبُكَائكُمَا. فَقَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: (أَبْكِي لِلَّذي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذهمُ الْفدَاءَ- لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذه الشَّجَرَة) [١]، وَأَنْزَلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ[٢] تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللّه سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ* فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [٣] رواه مسلم في الجهاد والترمذي[٤].

---

(١) الإشارة لشجرة قريبة من النبي ﷺ .
وفي رواية: " إن كاد ليصيبنا في خلاف ابن الخطاب عذاب ، ولو نزل عذاب ما أفلت منه إلاّ عمر ".

(٢) يبالغ في قتل الكفار حتى تظهر شوكة الإسلام، وهذا في أول الإسلام ، وخير بعد ذلك بقوله ﴿ فَإِمَّا مَناً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ آية ٤ من سورة محمد.

(٣) الآيات ٦٧- ٦٩ من سورة الأنفال.
قال القرطبي: والمعنى ما كان ينبغي لكم أن تفعلوا هذا الفعل الذي أوجب أن يكون للنبي أسرى قبل الإثخان، وأعقب لهم هذا الإخبار بقوله (تريدون عرض الدنيا) والنبي ﷺ لم يأمر باستبقاء الرجال وقت الحرب ولا أراد قط عرض الدنيا وإنما فعله جمهور مباشري الحرب فالتوبيخ والعقاب إنما كان متوجهاً بسبب من أشار على النبي ﷺ بأخذ الفدية (هذا قول أكثر المفسرين). وقد قيل إنما عوتبوا لأن قضية بدر كانت عظيمة الموقع والتصريف في صناديد قريش وأشرافهم وسادتهم وأموالهم بالقتل والاسترقاق والتملك ، وذلك كله عظيم الموقع فكان حقهم أن ينتظروا الوحي ولا يستعجلوا . فلما استعجلوا و لم ينتظروا توجه إليهم ما توجه (والله أعلم).

(٤) صحيح مسلم حديث رقم ١٧٦٣ ، سنن الترمذي — التفسير- رقم ٣٠٨٥ .

ما يؤخذ من الحديث:

- الحاكم يستشير أهل المشورة في الأمور الهامة.
- على المستشار أن يقول رأيه ويوضح أسباب ميله إلى ما ارتآه.
- ويجب عليه عدم ميله إلى الدنيا بل يبتغي وجه الله والدار الآخرة.
- ظهور الرحمة والشفقة ورجاء إيمان الأسرى في رأي أبي بكر.
- ظهور قوة الحق والعدل في رأي عمر بن الخطاب.
- نزول القرآن مؤيداً لما رآه عمر بن الخطاب.
- شدة خوف النبي ﷺ على أمته.
- تأديب القرآن للصحابة والأمة من بعدهم أن لا يميلوا لعرض الدنيا ولا يشيروا على رسول الله ﷺ وكان يجب أن ينتظروا الوحي.
- فضل أهل بدر وعفو الله عنهم بقوله تعالى: ﴿ لَوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.
- أحل الله الغنائم للتفريج عن المؤمنين و لم تكن تحل لأمة من الأمم السابقة.

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه وحي الحديث تحت عنوان المشورة:

لا تستبد بما تراه وشاورن ... أهل النهى فبهم ترى أخطاكا[1]

ما كان الاستبداد إلاّ ضلّةً ... في الرأي تجلب محنة وهلاكا

والله حث على المشورة حبَّهُ ... والمؤمنين وأين منه نُهاكا

(شاورهمو في الأمر) تُرْضِ (وأمرهم ... شورى) وهم أحباب من أولاكا

لا تندمن إذا استشرت ولا ترى ... لوماً تساء به على مأتاكا

كل يشير بما يراه فلا ترم ... إلاَّ إشارة متق مولاكا

وإذا استشرت ذوي الحجا وتمحصت ... آراؤهم فالحق لا يخفاكا[2]

(١) النهى: العقل .

(٢) الحجر: العقل. تمحصت: خلصت آراؤهم مما يشوبها.

٢٢٥ - قصة حجة الوداع

عَنْ عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ ﷺ أَنَّهُ شَهِدَ[١] حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَّرَ وَوَعَظَ ثُمَّ قَالَ: (أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ[٢] أَيُّ يَوْمٍ أَحْـرَمُ أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ؟) فَقَالَ النَّاسُ: يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ[٣] يَا رَسُولَ اللَّه. قَالَ: (فَإِنَّ دِمَـاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ[٤] كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا[٥] فِي بَلَدِكُمْ هَذَا[٦] فِي شَهْرِكُمْ هَذَا[٧] أَلا لا يَجْنِي جَانٍ إِلا عَلَى نَفْسِهِ لا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَى وَلَـدِهِ[٨] وَلا وَلَدٌ عَلَى وَالِدِهِ أَلا إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ فَلَيْسَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ إِلاَّ مَا أَحَلَّ مِنْ نَفْسِهِ[٩] أَلاَ وَإِنَّ كُلَّ رِبًا فِي الْجَاهِلِيَّـةِ مَوْضُـوعٌ[١٠]، لَكُـمْ رُءُوسُ

---

(١) شهد : أي حضر .

(٢) أي يوم أحرم : أي أكثر حرمة وتعظيما .

(٣) قيل يوم عرفة، وقيل يوم النحر .

(٤) أي محرم ليس لبعضكم أن يتعرض لبعض فيريق دمه، أو يسلب ماله ، أو ينـال من عرضه .

(٥) يعني تَعَرُّضُ بعضكم دماء بعض وأمواله وأعراضه في غير هذه الأيـام كحرمـة التعرض لها في هذا اليوم .

(٦) في بلدكم هذا : أي مكة أو الحرم المحترم .

(٧) في شهركم هذا : أي ذي الحجة .

(٨) قال صاحب التاج : فجناية الولد لا يؤاخذ عليها الوالد ، وبـالعكس . قـال تعالى: ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ والكلمتان بيان لما قبلهما .

(٩) إلا ما أحل من نفسه : أي إلا ما أباح له أخوه من نفسه ، أو إلا ما أعطاه بطيب نفس ، أو المراد إلا ما تسبب فيه كالضمان في الإتلاف والقصاص في الحدود.

(١٠) ألا إن كل ربا في الجاهلية موضوع: أي باطل يحرم دفعه وأخـذه ، أو المـراد كالشيء الموضوع تحت القدم ، وهو مجاز عن إبطاله .

أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ غَيْرَ رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ[١]، أَلا وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ[٢] وَأَوَّلُ دَمٍ وُضِعَ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ دَمُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ كَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ أَلا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ[٣] عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ[٤] إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ[٥] فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ[٦]

---

(١) وفي حديث جابر : " وربا الجاهلية موضوعة ، وأول ما أضع ربا العباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله " قال النووي قوله ﷺ : في الربا إنه موضوع كله ، معناه الزائد على رأس المال كما قال تعالى : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ آية ٢٧٩ من سورة البقرة . وهذا الذي ذكرته إيضاح، وإلا فالمقصود مفهوم من نفس لفظ الحديث ؛ لأن الربا هو الزيادة فإذا وضع الربا فمعناه وضع الزيادة، والمراد بالوضع الرد والإبطال .

(٢) ألا وإن كل دم في الجاهلية موضوع أي متروك لا قصاص ولا دية ولا كفارة .

(٣) عوان: أسيرات جمع عانية شبههن بالأسيرات عند الرجال لتحكمهن فيهن قال ابن الأثير : العاني الأسير وكل من ذل واستكان وخضع. فقد عنا يعنو ، أو هو عان والمرأة عانية وجمعها عوان.
وقال صاحب التاج : عوان : جمع عانية ، وهي الأسير فالمرأة مع زوجها كالأسير لا تفعل ولا تترك شيئاً إلا بإذنه.

(٤) ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك : أي غير الاستيصاء بهن الخير .

(٥) الفاحشة: كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي ، وكثيراً ما ترد بمعنى الزنا ، وكل خصلة قبيحة فهي فاحشة من الأقوال والأفعال .

(٦) فاهجروهن في المضاجع : قال ابن عباس : هو أن يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها ، وقيل أن يعتزل عنها إلى فراش آخر .

وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ[١] فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً[٢] أَلا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ[٣] مَنْ تَكْرَهُونَ وَلا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ أَلا وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ) .

رواه الترمذي ومسلم[٤].

---

(١) قال النووي: الضرب المبرح : هو الشديد الشاق ، ومعناه اضربوهن ضرباً ليس بشديد ولا شاق ، والبرح : المشقة .

(٢) فإن أطعنكم : أي فيما يراد منهن ، فلا تبغوا عليهن سبيلا " أي فلا تطلبوا عليهم طريقا إلى هجرانهن وضربهن ظلماً .

(٣) فلا يوطئن فرشكم من تكرهون : أي من تكرهونه رجلاً كان أو امرأة .
قال النووي : المختار أن معناه أن لا يأذن لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم، والجلوس في منازلكم سواء كان المأذون له رجلاً أجنبيا أو امرأة أو أحداً من محارم الزوجة فالنهي يتناول جميع ذلك .

(٤) صحيح مسلم حديث رقم ١٢١٨ ، سنن الترمذي كتاب التفسير رقم ٣٠٨٧ ، التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ١٢٩ .

ما يؤخذ من الحديث:

- أن الله عز وجل حرَّم بعض الأزمنة وبعض الأمكنة وجعل دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم أعظم حرمة عند الله.
- الإسلام يجب ما قبله، ولا يجني جانٍ إلاّ على نفسه؛ لا يؤاخذ أحد بما جناه غيره (وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى).
- ترابط لحمة المسلمين وقوة أواصر الصلة بينهم حتى أصبحوا إخوانا.
- للحاكم إذا أراد أن يمنع عادة رسخت في نفوس القوم فليبدأ بنفسه وعشيرته الأقربين.
- الإحسان إلى النساء ومعاملتهن معاملة كريمة ولهن الحق في الكسوة والطعام=

=والسكن وإنهن معاونات للأزواج ولا يتصرفن في شيء بغير إذن منهم . فـإن فعلن ما يشين فعلى الرجال النصح لهن ثم الهجر في الفراش ثم الضرب غير المبرح.

– عظم شخصية رسول الله ﷺ وأنه الرحمة الكبرى للعالمين.

ويقول شيخنا الخطيب رضي الله عنه في ديوانه رباعيات الخطيب تحت عنوان نشيد الإسلام:

أي دين صـاحب العهـد جعـل ... حكمه حكم الذي فيـه دخـل
قلـب الأديـان أخـرى وأول ... لا ترى غيري من الأديان دين[1]

أي ديـن أهلـه فيـه سـواء ... تَربُ الكفين[2] أو رب الثـراء
والرعايـا فيـه تحكـي الخلفـاء ... ليس غـير الله فـوق العـالمين

ويقول ﷺ في ديوانه بشرى العاشقين تحت عنوان اليهود:

كم للربا أكلوا! كم للخنا فعلـوا ... لم ينه بعضهمو بعضاً عن الـجُرُم
سنوا الربا حسنوه أظهـروه بـه ... أغروا بمختلف الأشكال والنظم
كسب اللئام وجلاب الخصام ومد ... عاة اللطام وقضاء على اللُّحم[3]
وما الحياة سوى حُبٌّ فإن قضـبت ... عراه منها غدت سوداء كالحمم
ضد الفتوة بُتَّـات المـروة قطـ ... ـاع الأخوة دفاعٌ إلى الجشم[5]
قاض على العون والدنيا معاونـة ... إن لم تكن، كانت الأحوال في فقم
فكم بيوت عوال ريثمـا دخلـوا ... وعاملوا أهلها انقضَّت من الدعم
من خال إن الربا يربوا الثراء بـه ... غِرٌّ تخيـل أن الشـحم في ورم
تـراه يربـو ولكـن في نهايتـه ... بالمال يفتك فتك الليث بـالغنم
ما حارب اللهُ غير اثـنين ربَّ ربـاً ... ومن لإحبابه آذى؟ ولم يجـم[6]

(١) فتش الأديان على اختلاف الأزمان لا ترى ديناً جعل من أعطـاه الأمـان كمن به دان إلاّ الإسلام. (٢) ترب الكفين : الفقير . رب الثراء: الغني

(٣) اللحم: المودات. (٤) قضبت: قطعت.

(٥) الجشم : الأمر الثقيل. (٦) يجم: يخاف.

ويقول ﷺ في ديوانه وحي الحديث تحت عنوان كيف تعامل الزوجة:

خدها رويداً بالجميل فإن عصت ... فانصح فجانب فرشها فعصاكا

وصى بها خير البرية فارْفُقن ... فيها بربك أمر من وصاكا

وتمتعن بها على عوج وفي ... تقويمها تطليقها حاشاكا

وافرح وجدَّ وانفقن ولا تكن ... فظاً فيعدم راحة مثواكا

والبيت يشمله الوفاق حديقة ... وإذا الخلاف يَحله فلظاكا

وبدارها لا تسكنن ودارها ... وذر الفضول جميعهن وراكا

٢٢٦- إن الحسنات يذهبن السيئات

عَنْ أَبِي الْيَسَرِ[١] قَالَ: أَتَتْنِي امْرَأَةٌ تَبْتَاعُ تَمْرًا[٢] فَقُلْتُ لها إنَّ فِي الْبَيْت تَمْرًا أَطْيَبَ مِنْهُ فَدَخَلَتْ مَعِي فملت إِلَيْهَا فَقَبَّلْتُهَا فسألتُ أَبَا بَكْرٍ فقَالَ: اسْتُرْ عَلَى نَفْسكَ وَلا تُخْبِرْ أَحَدًا وتب إلى الله. فَلَمْ أَصْبِرْ فسألتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَ: (أَخَلَفْتَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّه[٣] فِي أَهْلِه بِمِثْلِ هَذَا؟)- حَتَّى تَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ[٤] إلا تِلْكَ السَّاعَةَ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ- وَأَطْرَقَ[٥] رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ طَوِيلاً حَتَّى أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْه (أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ ... الآية) [٦].فَقَرَأَهَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَ

---

(١) أبو اليسر: كعب بن عمرو بن عباد السلمي الأنصاري صحابي جليل بدري.

(٢) تبتاع تمراً : أي تشتريه مني .

(٣) " أخلفت غازياً في سبيل الله " . قال الجزري: يقال خلفت الرجل في أهله إذا قمت بعده فيهم وقمت عنه بما يفعله.

وفي رواية : أنه أتته أمرأة وزجها قد بعثه رسول الله ﷺ في بعث .

(٤) حتى تمنى أنه لم يكن أسلم إلا تلك الساعة ؛ لأن الإسلام يهدم ما قبله .وكأنه استصغر ما كان منه من قبل — من الإسلام والعمل الصالح — في جنب ما ارتكبه من هذه الجناية وشدة إنكار النبي ﷺ وتعظيمه لذلك.

(٥) " وأطرق رسول الله ﷺ " : قال ابن الأثير : الإطراق أن يقبل ببصره إلى صدره، ويسكت ساكناً طويلاً أي إطراقاً طويلاً أو زمناً طويلاً .

(٦) سورة هود من الآية رقم ١١٤ وتمامها : ﴿ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ .معنى ﴿ طَرَفَيِ النَّهَارِ ﴾ " الغداة والعشي والصلاة فيهما الصبح والظهر والعصر ، ﴿ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ أي أوقاتاً من الليل ومنه المغرب والعشاء ﴿إِنَّ الحَسَنَاتِ ﴾ أي من تلك الصلوات .

فلما صلى الرجل بعد أن أذنب بتقبيل الأجنبية نزلت الآية بمغفرة ذنبه . فتسأل الصحابة: ألهذا خاصة؟ فقال ﷺ : بل للناس عامة .

أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلِهَذَا خَاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً؟ قَالَ: (بَلْ لِلنَّاسِ عَامَّةً [١]).

رواه الترمذي بسند حسن[٢].

---

(١) وفي رواية للبخاري قال لجميع أمتي كلهم ، وتمسك بظاهر قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ المرجئة وقالوا إن الحسنات تكفر كل سيئة كبيرة كانت أو صغيرة .

وحمل الجمهور هذا المطلق على المقيد في الحديث الصحيح " أن الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر " .

فقال طائفة : إن اجتنب الكبائر كانت الحسنات كفارة لما عدا الكبائر من الذنوب ، وإن لم تجتنب الكبائر لم تحط الحسنات شيئاً .

وقال آخرون: إن لم تجتنب الكبائر لم تحط الحسنات شيئاً منها وتحط الصغائر .

وقيل: المراد إن الحسنات تكون سبباً في ترك السيئات كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ الآية ٤٥ من سورة العنكبوت . لا أنها تكفر شيئاً حقيقة وهذا قول بعض المعتزلة .

(٢) سنن الترمذي – كتاب التفسير – حديث رقم ٣١١٥ ، التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ١٤٩ .

ما يؤخذ من الحديث:

- مسارعة الصحابة رضوان الله عليهم إلى التوبة.
- رفعة مكانة أبي بكر ﷺ حيث كان يُسأل عن المسائل في عهد رسول الله ﷺ.
- على الإمام إذا سئل عن مسألة تنقص من شأن مرتكبها أن يعاتب مرتكبها حتى لا يعود لمثلها هو أو غيره.
- صدق توبة الصحابي وذلك بالندم الذي حل به وتمنى أنه لم يكن أسلم من قبل، وخوفه من أن يكون من أهل النار.
- مواظبة الصحابة – رضي الله عنهم – على أداء الفرائض مع رسول الله ﷺ في أوقاتها.
- عظيم رحمة الله بالمؤمنين ونزول القرآن بما يرفع عنهم العنت والإصر.

- حرص الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وسؤالهم عن خصوص الآيـــة أو عمومها فكانوا لنا رحمة وكل ما فيه الأمة من خير فبســببهم رضــوان الله عليهم أجمعين.
- عموم الآية، فمن ارتكب شيئاً من المخالفات فليستر على نفسه ولا يخبر أحــداً بذنبه وليتب إلى الله توبةً نصوحاً وليواظب على الصلوات وليكثر من الطاعات.
- الأدب العالي الذي أدب به رسول الله ﷺ صحابته الكرام فأصبحوا سادة وقادة.

ويقول شيخنا الخطيب ؓ في ديوانه وحي الحـديث: الصـحابة رضي الله عنـهم:

واذكر بخير الذكر سائر صحبه ... صــلى عليــه مســلماً مولاكــا
هم جاهدوا في الله حق جهاده ... حتى استقام الدين وهــو هــداكا
وأحبَّهم وله أحبُّــوا جُهـدهم ... فلهم أطب ما اسطعت فيه ثناكــا
والله زكاهم فــلا تــذكرهمو ... إلاّ بتزكيـــة لهـــم شـــفتاكا
والله راض عنهمو وهمو رضوا ... عنـــه ولا يرضـــون إلاَّ ذاكـــا

ومن قصيدته ؓ في ديوانه بشرى العاشقين تحت عنـوان أصحابه ﷺ يقول ؓ:

من عدَّ آي إمام الأنبيــاء يجــد ... منها صحابته في باذخ القمــم [1]
من شامهم حالتي جحد ومعرفــة ... يقول جلَّ محيلُ الصَّلد للشـبم[2]
يستوقف العين من منهم نظرت وكم ... معنىً يروق الحجا فيه وكم وكمِ[3]
أُسْد اللقاء ورهبان المساء وتحقــ ... ــيق الرجاء وبتُّ الظلم والظلــم
جابوا البلاد وما جاءوا لناحيــة ... إلاَّ ومقلادها ألقت لأمــرهم(٤)
وقبل سير إليها قــدموا سِيَراً ... تضمخ الجو مــن ريَّــا عــبيرهم
لله فتحهمــو بــالله نجحهمــو ... في الله ربحهمو لا في هوىً وخم[5]

(١) آي: معجزات (٢) جحد: كفرقبل الإسلام. ومعرفة : إيمان بعده.
محيل: محول. الصلد: الصلب الأملس. والشبم: العذب الزُّلال.
(٣) يروق الحجا: يعجب العقل . (٤) جابوا: فتحوا. مقلادها: أمرها.
(٥) وخم: سيء العاقبة.

رُعاءُ شاة جفاةٌ جاهلون غـدوا ... أرباب علم وحلم سائسـي أمـم
شتان ما بين يونـان وبينـهمو ... في رائع الأدب المحمود والحكـم
الدين حُبُّهمو والكفر بُغْضُـهمو ... وكلهم في سماء الفضل كـالنجم
بأيهم جئت رب العرش مقتـدياً ... جريت في لاحب رحب إلى السـلم[1]
إن قيل مَنْ بَعْدَ أهل الوحي منزلة ... فقل صحابة خير الخلـق كلـهم
بالخير فاذكرهمو واحذر إساءته ... بأن تسيء امرءاً منهم بلا جـرم
الله الله في صـحبي فحبـهمو ... حبِّي وبغضهمو بغضي وذو ألمي[2]

(١) اللحب: الطريق الواضح. السَّلم: السلامة. والبيتان إشارة إلى قوله ﷺ: " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم".

(٢)قال ﷺ : " الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه " .

٢٢٧ - بعض حوادث الآخرة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ[١]) قَالَ: (يُدْعَى أَحَدُهُمْ فَيُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَيُمَدُّ لَهُ فِي جِسْمِهِ سِتُّونَ ذِرَاعًا[٢] وَيُبَيَّضُ وَجْهُهُ وَيُجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ يَتَلأْلأُ[٣] فَيَنْطَلِقُ إِلَى أَصْحَابِهِ[٤] فَيَرَوْنَهُ مِنْ بَعِيدٍ فَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ائْتِنَا بِهَذَا وَبَارِكْ لَنَا فِي هَذَا حَتَّى يَأْتِيَهُمْ فَيَقُولُ: أَبْشِرُوا لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِثْلُ هَذَا). قَالَ: (وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُسَوَّدُ وَجْهُهُ وَيُمَدُّ لَهُ فِي جِسْمِهِ سِتُّونَ ذِرَاعًا[٥] عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَيُلْبَسُ تَاجًا[٦] فَيَرَاهُ

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٧١. بإمامهم: اختلفوا في ذلك فمنهم من قال: كل يدعى بإمام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم فيقال: هاتوا متبعي إبراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي عيسى هاتوا متبعي محمد — عليهم الصلاة والسلام — فيقوم أهل الحق فيأخذون كتابهم بأيمانهم ويقول هاتوا متبعي الشيطان هاتوا متبعي رؤساء الضلالة. وقيل كل يدعي بإمام مذهبه الذي كان يأتم به في الدنيا ومنهم من قال بكتاب كل إنسان الذي فيه عمله. وقيل الإمام الكتاب ويؤيده قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ وقوله : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾.

(٢) ستون ذراعاً: والذراع تقاس من طرف المرفق إلى طرف الأصبع الوسطى وأشهرها الذراع الهاشمية وطولها ٦٤ سم وعليه يكون الطول ٣٨,٤٠ متراً.

(٣) لؤلؤ يتلألأ: اللؤلؤ: الدرة شديدة الصفاء والبياض. يتلألأ: يلمع في اضطراب يجذب الأنظار.

(٤) فينطلق إلى أصحابه : أي الذين كانوا أصحابه في الدنيا .

(٥) بل ورد في الصحيح أن ضرس الكافر يصير في النار كالجبل .

(٦) على صورة آدم: أي في طوله ستون ذراعاً، قوله فيلبس تاجاً : أي من أنواع لبس أهل النار .

أَصْحَابُهُ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، اللَّهُمَّ لا تَأْتِنَا بِهَـذَا) قَـالَ: (فَيَـأْتِيهِمْ فَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ أَخْزِهِ فَيَقُولُ: أَبْعَدَكُمُ اللَّهُ فَإِنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِثْلَ هَذَا) .

رواه الترمذي بسند حسن[1].

(١) التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ١٦٧ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه حكمة الرجز تحت عنوان تطاير الصحف:

فقائـل وا ذُلَّيَـهْ	وا خجلـتي مـن ربيـه
أوتيـت مـن شماليـه	أو مـن وراء ظهريـه
مـن شـقوتي كتابيـه	يـا ليـتني أحبابيـه
لم أدر مـا حسـابيه	مـا أغـنى عـني ماليـه
لم يبـق لي سـلطانيه	مـا أصـعب الزبانيـه
يا ليـت تلـك القاضـية	مـن لي بمـوتي ثانيـه
أو رجعـة للماضـيه	أُصْـلِحْ بهـا أعماليـه
كـلا فلـو رُددتمـو	لِمَـا نُهيـتم عـدتمو
عمـرتكم مـا يبصر	فيـه الـذي يستبصـر
بـوءوا بشـر حسـرة	فمـا لكـم مـن رجعـة
ومـا خلقـتكم سـدى	بـل للنجـاة والـردى
أمـا أتـتكم رسـلي	وقـد هـدتكم سـبلي
وأنـذرتكم يومـه	وحـذّرتكم بطشـيه
مـا اسـتمعتم قـولهم	ومـا رعيـتم فضـلهم
وكـم لهـم أسـأتموا	وكـم بهـم هزأتمـو
لسـت لكـم بـراحم	ومـا لكـم مـن عاصـم

جنودنـــا خـــذوهم ولطفنـــا امنعـــوهم
بغُلّنـــا غلـــوهم ثم لظـــى صـــلوهم
فـــإنهم لم يؤمنـــوا وفعلـــهم لم يحســـنوا

وقائـــل لربيـــه شـــكراً علـــى نجاتيـــه
أُتيـــت في يمينيـــه يـــا فرحَتَـــي كتابيـــه
فاستبشـــروا أحبابيـــه ولتشـــكروا الله ليـــه
كم خفـــت مـــن حســـابيه ومـــا نســـيت الباقيـــه
من أجـــل تلـــك الفانيـــه فـــاليوم نفســـي راضـــيه
تلـــك الجنـــان العاليـــه قطـــوفهن دانيـــه

٢٢٨ - سد يأجوج ومأجوج [١]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي السَّدِّ قَالَ: (يَحْفِرُونَهُ كُلَّ يَوْمٍ[٢]. حَتَّى إِذَا كَادُوا يَخْرِقُونَهُ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمُ: ارْجِعُوا فَسَتَخْرِقُونَهُ غَدًا فَيُعِيدُهُ اللَّهُ كَأَشَدِّ مَا كَانَ حَتَّى إذا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمُ: ارْجِعُوا فَسَتَخْرِقُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَاسْتَثْنَى -[٣] فَيَرْجِعُونَ فَيَجِدُونَهُ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ فَيَخْرِقُونَهُ فَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ فَيَسْتَقُونَ الْمِيَاهَ[٤]، وَيَفِرُّ النَّاسُ مِنْهُمْ[٥]. فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ فِي السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ مُخَضَّبَةً بِالدِّمَاءِ فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا مَنْ فِي

(١) السد: الذي بناه هو ذو القرنين بمعاونة أهل البلاد المجاورة ليأجوج ومأجوج.
ياجوج ومأجوج من ذرية آدم لما روى في البخاري : " يا آدم قم فأخرج بعث النار" الحديث رقم ٣٣٤٨ . وفي حديث حذيفة مرفوعاً " يأجوج أمة ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف رجل، لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه كلهم قد حمل السلاح لا يمرون على شيء إلاّ أكلوه ويأكلون من مات منهم.

(٢) إن الله منعهم أن يوالوا الحفر ليلا ونهاراً .

(٣) واستثنى : أي قال: إن شاء الله .

(٤) وفي رواية: فلا يمرون بشيء إلاّ أهلكوه.

(٥) وقد ورد من حديث النواس بن سمعان بعد ذكر الدجال وقتله على يد عيسى عليه السلام قال: " ثم يأتيه قوم قد عصمهم الله من الدجال فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يَدَان لأحد بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ، وَيُحْصَرُ عيسى نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار.

الأَرْضِ وَعَلَوْنَا مَنْ فِي السَّمَاءِ - قَسْراً وَعُلُوًّا[١] - فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَغَفًا[٢] فِي أَقْفَائِهِمْ[٣] فَيَهْلِكُونَ. فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الأَرْضِ تَسْمَنُ وَتَبْطَرُ وَتَشْكَرُ[٤] شَكَرًا مِنْ لُحُومِهِمْ) . رواه الترمذي بسند حسن[٥].

---

(١) قسراً وعلواً: أي جبروتاً منهم واستكباراً . وفي رواية لمسلم أيضاً: " فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيردها الله عليهم مخضوبة دماً".

(٢) النغف : دود يظهر في أنف الغنم والإبل فتهلك. وفي رواية أبي سعيد مرفوعاً: " فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم دواب كنغف الجراد" وفي رواية النواس بن سمعان : " فيرغب عيسى نبي الله وأصحابه إلى الله فيرسل عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة".

(٣) أقفائهم : المراد مؤخرة رقابهم .

(٤) تَشْكَرُ: تسمن، يقال شكرت الناقة امتلأ ضرعها لبناً، وشكرت الدابة : سمنت.

(٥) سنن الترمذي — التفسير رقم ٣١٥٣ ، التاج ج ٤ ص ١٧٢ .

ما يؤخذ من الحديث:

- خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الكبرى وأهما أمتان عظيمتان وفيهم أهل صناعة وأهل ولاية وسلطة ورهبة تطيع من فوقها، وفيهم من يعرف الله ويقر بمشيئته وأن الله منعهم من أن يحاولوا الرقي على السد وصدهم عن أن يقولوا إن شاء الله حتى يأتي الوقت المحدد ومنعهم من مداومة الحفر ليلاً ونهاراً.
- فضل قول إن شاء الله فبها تحقق الرغائب .
- إن الله لا يعجزه شيء من مخلوقاته فأهل الكبر والتجبر نهايتهم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة.
- فضل دعاء نبي الله عيسى عليه السلام.

- ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في عقيدته:

يأجوج مأجوج طلوع الشمس   غرباً وجم الفسق فسق الرأس

٢٢٩ – يا أخت هارون

عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ قَالَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى نَجْرَانَ[١] فَقَالُوا لِي: أَلَسْتُمْ تَقْرَءُونَ يَا أُخْتَ هَارُونَ[٢] وَقَدْ كَانَ بَيْنَ مُوسَى وَعِيسَى مَا كَانَ[٣] فَلَمْ أَدْرِ الجواب فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: (أَلا أَخْبَرْتَهُمْ[٤] أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ[٥]).

---

(١) نجران : قال في القاموس: موضع في اليمن فُتِحَ سنة ١٠ هـ ، سمي بنجران بن زيدان بن سبأ ، وهي الآن محافظة بالممكلة العربية السعودية.

(٢) أي المشهور زمانهم بالتقوى، وإلا فليس لها أخ أسمه هارون .
تمام الآية : ﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ آية رقم ٢٨ من سورة مريم . قال ابن كثير : أي يا شبيهة هارون في العبادة أنت من بيت طيب طاهر معروف بالصلاة والعبادة والزهد فكيف صدر هذا منك ، قال علي بن أبي طلحة والسدي قيل لها أخت هارون أي أخي موسى ، وكانت من نسله ، كما يقال للتميمي يا أخا تميم ، والمضري يا أخا مضر ، وقيل نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون فكانت تتأسى به في الزهادة والعبادة.

(٣) أي من طول الزمان ما لا يمكن أن تكون مريم عليها السلام أختاً لهارون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام.

(٤) ألا أخبرتهم : أي هلاّ أخبرتهم.

(٥) يعني أن هارون المذكور في قوله : " يا أخت هارون " ليس هو هارون النبي أخا موسى عليهما الصلاة والسلام ، بل المراد بهارون هذا رجل آخر سمي بهارون ؛ لأنهم كاناو يسمون أولادهم بأسماء الأنبياء ، والصالحين قبلهم .
قال ابن جرير: اختلف أهل التأويل في السبب الذي قيل لها بأخت هارون ومن كان هارون هذا الذي ذكره الله وأخبر أنهم نسبوا مريم إلى أنها أخته .
فقال بعضهم : قيل لها هارون نسبة منهم لها إلى الصلاح ؛ لأن أهل الصلاح=

رواه الترمذي ومسلم في الأدب[١].

=فيهم كانوا يسمون هارون وليس بهارون أخي موسى .
وقال بعضهم: عنى به هارون أخي موسى ، ونسبت مريم إلى أنها أخته لأنها من ولده.
وقال آخرون : بل كان ذلك رجلاً منهم فاسقاً معلن الفسق فنسبوها إليـه ثم قال: والصواب من القول بعد ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله ﷺ في هذا الحديث وأنها نسبت إلى رجل من صالح قومها.

(١) صحيح مسلم كتاب الأدب- حديث رقم ٢١٣٥ ، سنن الترمذي حديث رقم ٣١٥٥ .

ما يؤخذ من الحديث:

- أن أهل الكتاب جبلوا على الجدل.
- من سئل عن علم لا يعلمه لا يجيب وليعود إلى أهل العلم، ويسـأل العـالم عما لا يعرفه من العلم.
- التبرك بأسماء الأنبياء ، والصالحين وجواز التسمية بها.
- تحريض النبي ﷺ الصحابة على استنباط الإجابة الصواب للسؤال.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في عقيدته:

خـير النسـاء مـريم فاطمـة   آسـية خديجـة عائشـة

٢٣٠ – المالك وعبيده

عَنْ عَائِشَةَ– رضي الله عنها– قالت: قَعَدَ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي مَمْلُوكَيْنِ يَكْذِبُونَنِي وَيَخُونُونَنِي[١] وَيَعْصُونَنِي وَأَشْتُمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟ قَالَ: (يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا لا لَكَ وَلا عَلَيْكَ وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلا لَكَ. وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمُ اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ[٢]) فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ[٣] لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ[٤] أَتَيْنَا

---

(١) مملوكين: مثنى مملوك وهو العبد.
يكذبونني: لا يصدقون معي في قولهم وفعلهم ويخونني:أي يسرقون من مالي.

(٢) الفضل: القدر الزائد.

(٣) الموازين: جمع ميزان قيل ظاهره أن لكل مكلف ميزانا توزن به أعماله فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة ، وقيل يجوز أن هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله. ويمكن أن يكون ميزان واحد عبر عنه بلفظ الجمع .
القسط: العدل. أي لا ينقص من إحسان محسن ولا إساءة مسيء وليس فيها بخس ولا ظلم كما يكون في وزن الدنيا.

(٤) مثقال حبة من خردل: المثقال وزن الشيء من مثله . وحبة الخردل هي بذور نبات متناهية في صغر حجمها وضرب مثلاً لعدل الله تعالى ومنه قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُون يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ الكهف/ ٤٩.

بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [١]. فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلِهَؤُلاءِ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ أُشْهِدُكُمْ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ .

رواه الترمذي بسند غريب [٢].

---

(١) الأنبياء/ ٤٧ .

(٢) سنن الترمذي حديث رقم ٣١٦٥ .

ما يؤخذ من الحديث:

- حرص المؤمن وسؤاله عما ينفعه في الدنيا والآخرة.
- الإحسان منجاة من عذاب الله يوم القيامة.
- العدل المطلق يوم القيامة فلا ظلم ولا بخس.
- كم للإسلام من يد عظيمة في تحرير العبيد.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه رباعيات الخطيب في قصيدة نشيد الإسلام:

أو يقولوا فيه إقرار الرقيق — وهو في الإسلام وسمٌ لا يليق

فاتهم أن من الرِّقِّ الرقيق — دونه حرية المستضعفين

لم يكن بدعي ولكن الورى — قبل كَوْني كان منه مكثراً

ظالماً فيه بهم مستهتراً — فاقد العطف عليهم لا يلين

كم به وصيت لو بي لا يدين — كيف لو كان له الإسلام دين

من يحرره يحرر يوم دين — من عذاب النار مثوى الظالمين

كم بمدحي العتق أغريت القلوبا — وبه كفرت عن قوم ذنوبا

ولقد أعطيت من فضلي نصيبا — من به قاموا ووجهي يبتغون

٢٣١ – عشر آيات من أقامهن دخل الجنة

قَال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِي اللَّه عَنْه : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ[(١)] سُمِعَ عِنْدَ وَجْهِهِ كَدَوِيِّ النَّحْلِ[(٢)] فَأُنْزِلَ عَلَيْهِ يَوْمًا فَمَكَثْنَا سَاعَةً فَسُرِّيَ عَنْهُ[(٣)] فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: (اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلا تَنْقُصْنَا وَأَكْرِمْنَا وَلا تُهِنَّا وَأَعْطِنَا وَلا تَحْرِمْنَا وَآثِرْنَا وَلا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا وَارْضِنَا وَارْضَ عَنَّا[(٤)]) ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أُنْزِلَ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ[(٥)]. دَخَلَ الْجَنَّةَ

---

(١) الوحي لغة : الإعلام في خفاء، وشرعاً: الإعلام بالشرع. وصفة إتيانه رسول الله ﷺ ما روى عن عائشة – رضي الله عنها قالت: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: "أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول) صحيح البخاري.

(٢) سمع عند وجهه كدوي النحل : أي سمع من جانب وجهه صوت خفي كدوي النحل.

(٣) قوله : " فسرى عنه " بضم السين وتشديد الراء أي كشف عنه وزال ما اعتراه من بُرحَاءِ الوحي وشدته.

(٤) وقد جمع رسول الله ﷺ الخير كله في دعائه للأمة فحيث علم أن هذه التكاليف شاقة دعا الله أن يوفقهم للعمل بها فيزداد المؤمنون ولا ينقصوا وطلب من ربه أن يكرمنا بمحض فضله وعطائه ويصرف الإهانة عنا وأن يعطينا عطاءً عظيماً من كل أنواع الخيرات في الدنيا والآخرة ولا يجعلنا محرومين منها وأن يفضلنا على جميع الأمم ولا يجعل أمة أفضل منا وأن يجعلنا راضين عن الله بعطائه وقضائه وأن يمنحنا رضاه فرضاه غاية المنى.

(٥) أقامهن : أي حافظ عليهن وعمل بهن وداوم عليهن.

ثُمَّ قَرَأَ (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) حَتَّى خَتَمَ عَشْرَ آيَاتٍ [١]. رواه الترمذي [٢].

---

(١) ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ* أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾. سورة المؤمنون من ١ : ١٠.

وفي القرطبي: عن يزيد بن بابنوس قال: قلنا لعائشة – رضي الله عنها – : كيف كان خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت: كان خلقه القرآن فقرأت ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ... ﴾ حتى انتهت إلى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾.

وقد جمعت هذه الآيات الخير كله ففيها الفلاح وهو الفوز بنعيم الآخرة لمن يؤدي الصلاة خاشعاً محافظاً عليها في أوقاتها ويعرض عن كل لغو من قول أو عمل ويؤدى الزكاة ويحفظ فرجه إلا ما أحل الله له ويؤدى الأمانة ويرعى العهود.

(٢) سنن الترمذي حديث رقم ٣١٧٣ ، كشف المناهج والتناقيح ج ٢ ص ٣٥٠ .

ما يؤخذ من الحديث:

- المعاناة والمشقة التي كان يعانيها رسول الله ﷺ عند نزول الوحي عليه حتى أنه ﷺ لو نزل عليه الوحي وهو يركب الناقة لضرب حزامها من ثقل ما يوحى إليه وما في ذلك من زيادة الزلفى ورفع الدرجات.
- حرص رسول الله ﷺ على هداية الأمة والدعاء لهم أن يوفقوا للعمل بما في هذه الآيات لينالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة ورحمته بهم.
- بلاغة الرسول ﷺ وما أوتي من جوامع الكلم.
- فضل استقبال القبلة عند الدعاء ورفع اليدين وهذا من آداب الدعاء.
- فضل منزلة الصلاة حيث افتتح ربنا هذه الصفات الحميدة بالخشوع في الصلاة واختتمها بالمحافظة على الصلاة.
- الجزاء العظيم الذي أعده الله لمن يعمل بهذه الآيات وهو الفردوس الأعلى فهو ربوة الجنة وأعلاها ووسطها ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن.
- التوجه إلى الله تعالى عند نزول الأوامر العظيمة وطلب المعونة والتوفيق منه.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه رباعيات الخطيب – قصيدة نشيد الإسلام – عن القرآن:

أين من علمك يارب الكتاب ... علم من خطّ ومن يتلو الكتاب
بل علوم الرسل قد أوتوا الكتاب ... بل علوم الخلق والروح الأمين[1]

قد حباك الله قولاً جامعاً ... بعد أن أولاك سفراً جامعاً
كم دواء لعقام ناجعا ... ضمت الغراء والسفر المبين[2]

بَيِّنٌ سهلٌ أمانٌ من هَوَى ... كم لمن يهواه نجى من هُوى
إنما المأفوك عنه من هوى ... وهو مأفون بداريه لعين[3]

لم يفرط فيه رب الناس شيْ ... قد حوى ما يبتغيه كل حي
وهو أسمى ما به يسمى لحي ... وبه نحيا حياة المنعمين

إنه راح وريحان وَفَيْ ... من يفئْ فيه نجا من كل غيْ
كن به صبّاً ودع هنداً وميْ ... تبلغ الغاية في دنيا ودين[4]

واقطع الأيام في نشر وطيْ ... للذي أعجز في نشر وطيْ[5]
تكو من عاداك كيًّا ولكي ... ترضى الله وليّ المتقين

لا يحسُّ الهم تاليه ولا ... نال ذو ذكر كما نال ولا[6]
فاحفظ الوقت به صاح ولا ... تلف عن أحكامه في الغافلين

(١) رب الكتاب: صاحب القرآن. (٢) سفراً: كتاباً. وعقام: داء لا دواء له. ناجعاً: نافعاً. والغراء: السنة. (٣)هوى: ميل مذموم. وهُوَي: جمع هوة وهي الحفرة العميقة. والمأفوك: المصروف. وهَوى: سقط. ومأفون: ضعيف الرأي.

(٤) فَيْ: ظلٌ. يفئ فيه: يستظل به . وغي: ضلال (٥) نشر وطي: نشر صحفه للقراءة وطيها بعد الفراغ من القراءة. ونشر : تفصيل. وطي: إجمال.

(٦) ولا: ولاء : محبة ونصرة.

٢٣٢ - الرُّبَيِّعُ بنت النضر وابنها

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ(١) وَكَانَ ابْنُهَا الحَارِثُ أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ بِسَهْمٍ غَرْبٍ(٢). فَقَالَتْ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَارِثَةَ لَئِنْ كَانَ أَصَابَ خَيْرًا احْتَسَبْتُ(٣) وَصَبَرْتُ، وَإِلا اجْتَهَدْتُ(٤) فِي الدُّعَاءِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جَنَّةٌ فِي جَنَّةٍ(٥) وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الأَعْلَى. وَالْفِرْدَوْسُ: رَبْوَةُ الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا وَأَفْضَلُهَا(٦)).

رواه الترمذي(٧).

---

(١) الربيع بنت النضر كانت من الأنصار وهي التي كَسَرَتْ ثنية امرأة فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص ، فقال أخوها أنس بن النضر : يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها. فرضوا بالأرش . فقال ﷺ: " إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره" .

(٢) بسهم غرب : أي لا يعرف راميه ، أو لا يعرف من أين أتى، أو جاء على غير قصد من راميه .

(٣) احتسبت: ادخرت أجر ذلك عند الله طلباً للثواب في الآخرة .

(٤) اجتهدت: بذلت أقصى وسعي وطاقتي .

(٥) جنة في جنة: صفوة الجنان وأفضلها.

(٦) ربوة الجنة : أرفعها ، والربوة ما ارتفع من الأرض ، والمراد بالأوسط هنا الأعدل والأفضل كقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ آية ١٣٤ من سورة البقرة.

(٧) سنن الترمذي كتاب التفسير رقم ٢١٧٤ .

ما يؤخذ من الحديث:

- تضحية الصحابة رضوان الله عليهم في سبيل نصرة الإسلام.
- حرصهم على معرفة مترلة شهدائهم عند الله عز وجل.
- الدعاء للميت ينقله من حال إلى حال أفضل ودليل ذلك أنها قالت وإلاّ اجتهدت في الدعاء.
- الشهداء مسكنهم الفردوس الأعلى.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه رباعيات الخطيب في قصيدة نشيد الإسلام عن الأنصار:

أهل هذا الحي هم أنبل حيْ	شاطروا من هاجروا في كل شيْ
بل عليهم أسبغوا أسبغ فَيْ	ومع الفقر عليهم يؤثرون
عاهدوا المختار في بكة أن	يدفعوا عنه خفاءً وعلن
فهمو من ضده أقوى جُنن	وبما أَعْطَوْه من عهد يفون

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه روضات الخطيب في قصيدته جنة الأتقياء في مدح سيد الأنبياء ﷺ عن الصحابة:

صاغهم رهم تقاة هداة	ودعاة إلى فريد المعالي
ثم آضوا لربهم فجزاهم	ما استحقوا من الجنان العوالي
ما جرى ذكرهم على الدهر إلاّ	شم من ذكرهم عبير الغوالي
فسلام عليهمو في حياة	وسلام عليهمو في انتقال
وسلام عليهمو يوم بعث	وسلام إذا لقوا ذا الجلال

٢٣٣ - دابة الأرض

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾[١].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: (تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مَعَهَا[٢] خَاتَمُ

---

(١) آية ٨٢ من سورة النمل .

معنى إذا وقع القول عليهم: قيل وجب الغضب عليهم، وقيل حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون وذلك إذا لم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم وقيل بموت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن.

فوقوع القول: وجوب العقاب على هؤلاء فإذا صاروا على حد لا تقبل توبتهم ولا يولد لهم مؤمن فحينئذ تقوم القيامة — ذكره القشيري. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : " ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً : طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض" . قال ابن عباس ﷺ : تُكَلِّمُ المؤمن. وتَكْلِمُ الكافر أي تجرحه.

(٢) قال الرازي: تكلَّمَ الناسُ في الدابة من وجوه :

أحدهما: في مقدار جسمها وفي الحديث أن طولها ستون ذراعاً.

ثانيها : في كيفية خلقتها: فروى لها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان ، وعن ابن جريج في وصفها : رأس ثور ، وعين خترير ، وأذن فيل ، وقرن أيل وصدر أسد ، ولون نمر وخاصرة بقر وذنب كبش وخف بعير .

وثالثها: في كيفية خروجها: عن عليٍّ: أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا تخرج إلا ثلثها ، وعن الحسن لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام .

ورابعها: في موضع خروجها سئل النبي ﷺ من أين تخرج الدابة؟ فقال: من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى المسجد الحرام) (المستدرك ٩٠: ٨) وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية .

وخامسها : في عدد خروجها: فروي أنها تخرج ثلاث مرات؛ تخرج بأقصى=

سُلَيْمَانَ وَعَصَا مُوسَى فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ وَتَخْتِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ(١)

اليمن ثم تكمن ، ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهراً طويلاً فبين الناس في أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار ابن مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون .

قال القرطبي: هو فصيل ناقة صالح وهو أصحها- والله أعلم- لما ذكره أبو داود الطيالسي في مسنده عن حذيفة قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال: " لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج في أقصى البادية ولا يدخل ذكْرها القرية " — يعني مكة — " ثم تكمن زمناً طويلاً ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك فيفشو ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية" يعني مكة. قال رسول الله ﷺ: " ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة؛ خيرها وأكرمها على الله- المسجد الحرام — لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس منها شتى ومعاً وتَثْبتُ عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري وولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى أن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان الآن تصلي؟ فتقبل عليه فتسمه في وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس في الأموال ويصطلحون في الأمصار يُعرف المؤمن من الكافر حتى أن المؤمن يقول: يا كافر اقض حقي" . وموضع الدليل من هذا الحديث أنه الفصيل قوله : (وهي ترغو) والرغاء إنما هو للإبل وذلك أن الفصيل لما قُتلَتْ الناقةُ هَرَبَ فانفتح له جحر فدخل في جوفه ثم انطبق عليه فهو فيه حتى يخرج بإذن الله.

وروي أنها دابة مزغبة شعراء ذات قوائم طولها ستون ذراعاً ويقال إنها الجساسة وهو قول عبد الله بن عمر.

(١) فتجلو وجه المؤمن : تصقله وتبيضه . وفي القرطبي قال ابن الزبير — رضي الله عنهما- وتخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتنكت في وجه المسلم بعصا موسى نكتة بيضاء فيبيض وجهه. وتنكت في وجه الكافر بخاتم سليمان فيسود وجهه.

حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخِوَانِ[١] لَيَجْتَمِعُونَ فَيَقُولُ: هَاهَا يَا مُؤْمِنُ وَيُقَالُ: هَاهَا[٢] يَا كَافِرُ وَيَقُولُ هَذَا يَا كَافِرُ وَهَذَا يَا مُؤْمِنُ).

رواه الترمذي بسند حسن[٣].

---

(١) الخوان : قال الجزري ما يوضع عليه الطعام عند الأكل .

(٢) خذه .

(٣) سنن الترمذي كتاب التفسير حديث رقم ٣١٨٧ .

ما يؤخذ من الحديث:

- قدرة الله تعالى في إخفاء بعض آياته ومخلوقاته وإظهارها عند حلول وقتها.
- في آخر الزمان يكون هناك المؤمنون كما يكون هناك الكافرون.
- ثبات المؤمنون وتسليمهم لأمر الله فيهم فلا مهرب مما أراد الله.
- عند ظهور الآيات لا ينفع إيمان من لم يكن آمن من قبل ظهورها ولا عمل لمن لم يكن يعمل من قبل.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في عقيدته:

ودابَّــةُ الأرضِ بــلا محالــهْ   تبــدي لكــلٍّ دينــهُ وحالــهْ

٢٣٤ - الروم [1] وفارس

عَنْ دينارِ بْنِ مُكْرَمٍ الأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ (الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ [2] فِي أَدْنَى الأَرْضِ [3] وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ) فَكَانَتْ فَارِسُ حِينئذٍ قَاهِرِينَ لِلرُّومِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهم عَلَى فارس لأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) [4]. وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُحِبُّ ظُهُورَ فَارِسَ لأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ كِتَابٍ وَلا إِيمَانٍ بِبَعْثٍ.[5] فَلَمَّا نزلت الآيَةَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِي اللَّهُ عَنْه يَصِيحُ فِي نَوَاحِي مَكَّةَ [6]: (الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ) قَالَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ لأَبِي بَكْرٍ: فَذَلِكَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ زَعَمَ صَاحِبُكم أَنَّ الرُّومَ سَتَغْلِبُ فَارِسَ فِي بِضْعِ سِنِينَ. أَفَلا نُرَاهِنُكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: بَلَى- وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الرِّهَانِ- فَارْتَهَنَ أَبُو بَكْرٍ وَالْمُشْرِكُونَ وَتَوَاضَعُوا الرِّهَانَ [7] وَقَالُوا لأَبِي بَكْرٍ كَمْ نَجْعَلُ الْبِضْعَ ثَلاثَ سِنِينَ إِلَى تِسْعِ سِنِينَ

---

(١) الروم : أمة عظيمة جدهم روم بن عيصو بن إسحاق وهم أهل كتاب .

(٢) غلبتها فارس وهم عُبَّاد أوثان .

(٣) في بصرى أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم .

(٤) آية رقم ٤ ، ٥ من سورة الروم .

(٥) ففرح كفار مكة بنصر فارس على الروم وقالوا للمسلمين سنغلبكم كما غلبت فارس الروم.

(٦) يصيح في نواحي مكة: ينادي فيها من الصياح وهو الصوت بأقصى الطاقة، ويقرأ عليهم الآيات.

(٧) تواضعوا الرهان: حددوا مقداره.فقد اتفق أبيُّ بن خلف مع أبي بكر الصديق على كل منهما مائة ناقة إن غلبت فارس أخذها أبيُّ وإن غلبت الروم أخذها أبو بكر وجعلوا الأجل ست سنين.

فَسَمِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ وَسَطًا نَنْتَهِي إِلَيْه. قَالَ فَسَمَّوْا بَيْنَهُمْ ستَّ سنينَ فَمَضَت قَبْلَ أَنْ تَظْهَر الروم فَأَخَذَ الْمُشْرِكُونَ رَهْنَ أَبِي بَكْرٍ[1] فَلَمَّا دَخَلَت السَّنَةُ السَّابعَةُ ظَهَرَت الرُّومُ عَلَى فَارِسَ فَعَابَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْمِيَةَ ستِّ سنِينَ لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: (فِي بِضْعِ سنِينَ)[2]. وَأَسْلَمَ عِنْدَ ذَلِكَ نَاسٌ كَثِيرٌ.

عن ابن عباس – رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ البِضْعَ مَا بَيْنَ الثَّلاثِ إلى التِّسْعِ). رواهما الترمذي[3].

---

(١) فمضت الست سنين و لم يقع بينهما حرب فأخذها أبيٌّ.

(٢) ثم أتى أبو بكر النبي ﷺ فأخبره فقال له: " فهلا احتطت فإن البضع ما بين الثلاث والتسع والعشر ولكن ارجع فزدهم في الرهان واستزدهم في الأجل".
ففعل أبو بكر فجعلوا القلائص مائتين والأجل تسعة أعوام. وتحارب الفرس والروم في السابعة وغلبت الروم الفرس ووافق هذا غزوة بدر فأخذ المائتين أبو بكر ، وكان القمار قد حرم فأمره النبي ﷺ بالتصدق بها. وفي رواية: أن الرهان كان ثلاث قلائص فزادهم إلى سبع قلائص.
وفي رواية: كانت خمس قلائص فزادهم إلى مائة.

(٣) سنن الترمذي – كتاب التفسير حديث رقم ٣١٩٣، ٣١٩٤.

ما يؤخذ من الحديث:

- القرآن الكريم الفصل ووعد الله لا يخلف.
- الصراعات قديمة ودائمة بين قوى الخير والشر وكلٌّ يناصر من يلائمه.
- قوة أبي بكر الصديق وعدم خوفه من المشركين وصراحه في أهل مكة بالقرآن وثقته بوعد الله ورضاه بالمراهنة.
- عند عرض الأمر على ولي الأمر عليه أن يوضح ما هو الخطأ ويوجه إلى الصواب.
- الأخذ بالأحوط في كل الأمور.

- الوفاء بالعهود وهي من الصفات الكريمة التي جبل عليها العرب ولو كانوا مشركين.
- تحريم أموال الرهان والتصدق بها وعدم إعادتها للمشركين حتى لا يستعينوا بها على الإسلام .
- معجزة القرآن جعلت كثيرا من الناس يقبلون على الإسلام.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه بشرى العاشقين تحت عنوان العالم قبل بعثته:

والبعض يسطو على بعض فلا سلم ... غير الحرام وغير الأربع الحرم[١]
وربما نسئوها إذ تعن لهم ... فيها مصالح تدعوهم لسفك دم[٢]
والفرس مفروسة ممن تملكها ... والروم ممن يليها ربة الورم
يقول من شامهم حَالَيْ هُدًى وردًى ... سبحان من فجر الأحجار بالشبم[٣]
استغفر الله كم في العرب من رجل ... ما فيه عيب سوى الإشراك بالحكم
ما شئت من كرم تلفى ومن أدب ... ومن حفاظ ومن خير ومن ذمم
وإن أحسنهم رأيا وأعظمهم ... نفساً وأكرمهم في البدء والختم
محمد صفوة الباري ورحمته ... والذخر والنعمة الكبرى على النسم

ويقول ﷺ في ديوانه رباعيات الخطيب:

زرعت بذوره شيئاً فشيئاً ... فمد على الورى ظلاً وفيئاً
وباكر ذو الْحَصَاةِ إليه جَيئاً ... فأدركه بداريه الهناء[٤]

(١) الأربع الحرم:ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب .
(٢) نسئوها: أخروها. وتعن: تظهر .
(٣) شامهم: نظرهم. الشبم: العذب الزلال البارد.
(٤) الحصاة: العقل.

٢٣٥ – النجم المرمي به

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذْ رُمِيَ بِنَجْمٍ[(١)] فَاسْتَنَارَ[(٢)] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ لِمِثْلِ هَذَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ[(٣)]؟) قَالُوا : كُنَّا نَقُولُ يَمُوتُ عَظِيمٌ[(٤)] أَوْ يُولَدُ عَظِيمٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَإِنَّهُ لا يُرْمَى بِهِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ لَهُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ إِلَى هَذِهِ السَّمَاءِ، ثُمَّ سَأَلَ أَهْلُ السَّمَاءِ السَّادِسَةِ – أَهْلَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ فَيُخْبِرُونَهُمْ ثُمَّ يَسْتَخْبِرُ أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ أَهْلَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَيَخْتَطِفُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ[(٥)] فَيُرْمَوْنَ[(٦)] فَيَقْذِفُونَهَا[(٧)] إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى

---

(١) قوله: " إذ رمى بنجم " أي قذف به .

(٢) قوله : " فاستنار " أي استنار الجوُّ به .

(٣) ليس سؤاله ﷺ للاستعلام ؛ لأنه كان عالماً بذلك بل لأن يجيبوا عما كانوا يعتقدونه في الجاهلية فيزيله عنهم ويقلعه عن أصله .

(٤) أي رجل عظيم .

(٥) تختطف من الاختطاف أي تسترق . وفي رواية فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها آخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهابُ قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه.

(٦) فيُرْمَوْنَ: أي يُرْسَلُ عليهم شهاب ثاقب.

(٧) أي ما سمعوه من الملائكة إلى أوليائهم من السحرة والكهنة .

وَجْهِهِ[١] فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَهُ وَيَزِيدُونَ[٢]).

رواه الترمذي[٣].

---

(١) فما جاءوا به على وجهه أي من غير تصرف فيه فهو حق أي كائن واقع .

(٢) يحرفون ويزيدون : أي يزيدون فيه دائما كذبات أخرى منضمة إليه فيقول الناس عنهم: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقاً فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء .

(٣) سنن الترمذي كتاب التفسير حديث رقم ٣٢٢٤ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه بشرى العاشقين تحت عنوان مولد النبي ﷺ:

ورنَّ إبليس من حزن ومُـرَّدُهُ   عن السموات ذاد الله بالرجم [١]

المرد: جمع مارد أي العاتي من الجن، ذاد: طرد، الرجم: الشهب التي يرمى بها.

٢٣٦ - النبيُّ ﷺ ورؤياه رَبَّهُ سبحانه وتعالى

- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: احْتُبِسَ عَنَّا رَسُولُ اللَّـه ﷺ ذَاتَ غَدَاة عَنْ صَلاة الصُّبْحِ حَتَّى كدْنَا نَتَرَايَا[١] عَيْنَ الشَّمْسِ فَخَرَجَ سَرِيعًا فَثُوِّبَ[٢]. بالصَّلاة فَصَلَّى رَسُولُ اللَّه ﷺ وَتَجوَّزَ في صَلاته[٣] فَلَمَّا سَلَّمَ - دَعَا بصَوْته قَالَ لَنَا: (عَلَى مَصَافِّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ) ثُمَّ انْفَتَلَ[٤] إِلَيْنَا فَقَالَ: (أَمَا إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمُ الْغَدَاةَ أَنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلاتِي[٥] حتى اسْتَثْقَلْتُ[٦]. فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ - صُورَة. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ. قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ. قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟. قُلْتُ: لا أَدْرِي رَبِّ. قَالَهَا ثَلاثًا. قَالَ: فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِله بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ. قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ. قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟. قُلْتُ فِي الْكَفَّارَاتِ[٧]. قَالَ: مَا هُنَّ؟ قُلْتُ: مَشْيُ الأَقْدَامِ إِلَى الحَسَنَاتِ[٨]، وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ[٩]،

---

(١) نترايا : أي نرى .

(٢) فثوب بالصلاة : من التثويب أي أقيم بها .

(٣) تجوز في صلاته : أي خفف فيها واقتصر على خلاف عادته .

(٤) انفتل إلينا: انصرف من الصلاة وحول وجهه إلينا.

(٥) فنعست: من النعاس وهو النوم الخفيف وهو جالس أو بعد سلامه وهو في مكانه.

(٦) استثقلت : أي غلب عليَّ النعاس.

(٧) سميت بذلك لأنها تكفر الخطايا والسيئات ولذلك ورد في بعض الروايات : " من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه".

(٨) كسعي في مصالح الناس، وعيادة المريض، وتشييع الجنائز، وصلاة العشاء والصبح ومشي الأقدام إلى المساجد لأداء الصلوات.

(٩) انتظاراً للصلاة الأخرى فهو اعتكاف يعدل المرابطة في سبيل الله . ويدخل في ذلك الجلوس للذكر والقراءة وسماع العلم وتعليمه ونحو ذلك.

وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ(١) حِينَ الْكَرِيهَاتِ. قَالَ: فِيمَ؟ قُلْتُ: إِطْعَامِ الطَّعَامِ(٢) وَلِينِ الْكَلامِ(٣) وَالصَّلاةِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ(٤). قَالَ: سَلْ، قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ(٥) وَحُبَّ

---

(١) إسباغ الوضوء: إتمامه وإبلاغه مواضعه الشرعية كالثوب السابغ المغطى للبدن كله ، وأن يكون الإسباغ على حالة تكره النفس فيها الوضوء مثل البرد الشديد ولا سيما في الليل. وعند الغضب ، وعند نزول المصائب فإن النفس تطلب حينئذ الجزع فالاشتغال عنه بالصبر والمبادرة إلى الوضوء. وكلما كان الوضوء شاقاً على النفس كان ثوابه أعظم.

(٢) إطعام الطعام: للثواب الذي أعده الله للمطعمين في قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً* إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً* فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً ﴾ الإنسان ٨/١١. وفي حديث صهيب عن النبي ﷺ "خياركم من أطعم الطعام " الترغيب ١٤٠٠، وفي الحديث: " اتقوا النار ولو بشق تمرة" ويتأكد إطعام الطعام للجائع والجيران وأفضله الإيثار مع الحاجة.

(٣) لين الكلام: هو الكلام السهل الذي لا جفاء فيه ولا شدة ولا غلظة وهو يجذب القلوب ويتأكد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾ البقرة/ ٨٣ ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ الإسراء/ ٥٣ ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل /١٢٥ ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ المؤمنون/ ٩٦ . وفي الحديث الصحيح: "والكلمة الطيبة صدقة" رواه البخاري ومسلم . الترغيب / ٣٩٧٢ . وإنما جمع بين إطعام الطعام ولين الكلام ليكمل بذلك الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل، فلا يتم الإحسان بإطعام الطعام إلاّ بلين الكلام وإفشاء السلام فإن إساءة القول تحبط العمل لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى ﴾ . ويتأكد القول اللين عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعند مقابلة الأذى.

(٤) الصلاة بالليل والناس نيام: فهي معراج أرواح المقربين وأفضل أوقات الليل ثلثه الأخير لما ورد من التجليات الإلهية في هذا الوقت.

(٥) هذا دعاء جامع يتضمن فعل كل خير وترك كل شر فمن يحظى بذلك فقد سعد في الدنيا وفاز بنعيم الآخرة.

الْمَسَاكِينِ[١] وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي[٢]، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ[٣] فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ. أَسْأَلُكَ حُبَّكَ[٤]، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ) . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّهَا حَقٌّ[٥] فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا [٦]).

رواه الترمذي بسند صحيح[٧].

---

(١) حب المساكين فيه: حصول الخشوع في القلب، وزوال الكبر من النفس وتعظيم نعمة الله وعدم ازدرائها. والإخلاص لله تعالى لأن الإحسان إليهم لا يكون بقصد جلب منفعة دنيوية ترجى من ورائهم، وأنهم يكونون له شفعاء وشهداء يوم القيامة .

(٢) تغفر لي وترحمني: فالمغفرة ستر الذنب مع وقاية شره بخلاف العفو فإنه يكون قبل العقوبة أو أثنائها أو بعدها والرحمة هي الفوز بدخول الجنة وعلو درجتها.

(٣) فتنة قوم: المراد بها الفتن المضلة للعبد عن دينه كالكفر والفسوق والبدع والعصيان وفتنة الممات وسوء الخاتمة وفتنة الملكين في القبر...
فإذا عاش الإنسان سليماً من الفتن ثم قبضه الله قبل وقوعها مع وقوع الناس فيها ففي ذلك نجاة له من الشر كله . أما الفتن الغير مضلة كفتنة الرجل بماله أو ولده فإنها تكفرها الصلاة والأعمال الصالحة.

(٤) قال الطيبي: يحتمل أن يكون معناه أسألك حبك إياي ، أو حبي إياك .

(٥) أي هذه الرؤيا حق إذ رؤيا الأنبياء وحي .

(٦) فادرسوها : أي احفظوا ألفاظها، واقرءوها ثم تعلموا معانيها الدالة عليها .

(٧) سنن الترمذي – كتاب التفسير – رقم ٣٢٣٥ .

ما يؤخذ من الحديث:

- أن النبي ﷺ لم يكن من عادته تأخير صلاة الصبح إلى قرب طلوع الشمس وإنما كانت عادته التغليس أو الإسفار . ولهذا بين لهم سبب التأخير.
- أن من أخر الصلاة إلى آخر وقتها لعذر وخاف خروج الوقت يخففها حتى يدركها كلها في الوقت.
- رؤية النبي ﷺ ربَّ العزة جل شأنه وكم رآه ﷺ ورؤيا الأنبياء حق.
- من رأى رؤيا تسره فإنه يقصها على أصحابه وإخوانه المحبين لا سيما إن تضمنت رؤياه بشارة لهم وتعليما لما ينفعهم.

- شرف النبي ﷺ وعلو مترلته وتفضيله بتعليمه كل شيء مباشرة من رب العزة دون واسطة. وتَجلِّي له ذلك بمعرفة ما يختصم فيه ملائكة الملأ الأعلى.
- أن الملأ الأعلى وهم الملائكة المقربون يختصمون فيما بينهم ويتراجعون القول في مقدار الأعمال التي تقرب بني آدم من الله عز وجل .
- سأل ربُّ العزة جل شأنه الرسولَ ﷺ ثلاث مرات عن علم لا يدريه ليكون شغوفاً لمعرفة ما لم يكن يعلم . وكم فيه من توجيه للعلماء مع من يعلّموهم.
- وفيه فضل الأعمال الصالحة ومقدارها عند الله عز وجل.
- وفيه أن الله علّم رسوله صلى الله عليه وسلم جوامع الدعاء.
- وفيه طلب الموت عند خشية الفتنة في الدين.
- حرص الرسول ﷺ على نشر العلم بين أمته.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه بشرى العاشقين تحت عنوان: (ما أرفع مقامه ﷺ).

إذا تعديت وصف الواحد الحكم ... فصف بما شئت رب الحُكْمِ والحِكَمِ
ولو جمعت بني الإنسان مبتغياً ... وصف النبي وما فيه من الشيم
والجنُّ والملأ الأعلى يؤيدهم ... من مبدأ لقيام الناس من رجم
وجمعوا اللؤلؤ المكنون أجمعه ... وأفرغوا الجهد في نثر ومنتظم
وحاولوا مدحه ما كان ما بلغوا ... إلاّ خيال السها في الماء في الظلم[١]
يا مرسلاً للورى كلاًّ وإن بعثت ... من قبله عنه نواب إلى الأمم
أنت المُجلّي وإن تختم فلا عجب ... الجند تسبق حيناً صاحب العلم[٢]
ما أوتي الرسل من حسن ومن حسن ... أوتيت أضعافه يا مصدر النعم
مراد مولاك والأكوان أجمعها ... أرادها لك ربُّ الجود والكرم
ما آية سبقت إلاّ وجئت بها ... وزدت بالذكر يا ذا الذكر والقيم
بل إن من سلفوا كالنجم إذ أخذوا ... من ضوء شمسك أنواراً من القتم[٣]

(١) السها: كوكب صغير خفي الضوء يمتحن الناس به قوة أبصارهم.

(٢) المجلي: السابق. (٣) القتم: المغبر في سواد أو حمرة.

٢٣٧ – أقم الصلاة لذكري

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: لَمَّا قَفَلَ[١] رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مِـنْ خَيْبَرَ أَسْرَى لَيْلَةً[٢] حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْكَرَى[٣] أَنَاخ ثم قَالَ يابلالُ: اكْلأْ لَنَا اللَّيْلَ[٤] فَصَلَّى بِلالٌ ثم تسَانَدَ إِلَى رَاحلَته مُسْتَقْبلَ الْفَجْرِ– فَغَلَبَتْه عَيْنَاهُ[٥] فنام فَلَمْ يَسْتَيْقظْ أَحَدٌ منْهُمْ ، واستَيْقَظَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ أَوَّلَهُمْ فقَـالَ: أَيْ بِـلالُ فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه أَخَذَ بِنَفْسِي الّذي أَخَذَ بِنَفْسكَ[٦]. فقَالَ رَسُـولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: اقْتَادُوا[٧] ثُمَّ أَنَاخَ[٨] – فتَوَضَّأَ فَأَقَامَ الصَّلاةَ ثم صَـلَّى مثلَ صلاته للوقت ثم قَالَ: (أَقِمِ الصَّلاةَ لِذكْرِي)[٩]. رواه الترمذي[١٠].

---

(١) قفل : رجع .

(٢) سرى: سار ليلاً .

(٣) الكرى : النعاس .

(٤) أكلأ لنا : أي أرقب وأحفظ واحرس . قال شيخنا الخطيب : احفظـه لنـا أي للصلاة : أي أيقظنا لصلاة الفجر .

(٥) قال الطيبي: هو عبارة عن النوم كأن عينيه غالبتاه فغلبتاه على النوم .

(٦) أي: لم أقصر في شيء ولكن الله أراد شيئاً فكان .

(٧) اقتادوا : أي رواحلكم لمكان آخر، أمر من الانقياد. يقال : قاد البعير واقتاده إذا جر حبله، أي سوقوا رواحلكم من هذا الموضع ، وفي رواية لمسلم : فقال النبي ﷺ : ليأخذ كل رجل برأس راحلته فإن هذا مترل حضرنا فيه الشيطان .

(٨) أناخ: الجمل أبركه في مكانه .

(٩) لذكري : أي لتذكرني فيها ، وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري ، وقيل الإخلاص ذكرى وطلب وجهي ولا ترائي فيها ولا تقصد بها غرضاً آخر.

(١٠) صحيح مسلم كتاب المساجد رقم٦٨٠، سنن الترمذي– كتاب التفسير رقم ٣١٦٣، التاج الجامع للأصول ج٤ص ١٧٧، سنن أبي دواد– كتاب الصلاة رقم٦٩٧.

ما يؤخذ من الحديث:

- تكليف من يقوم بمراقبة الوقت لإيقاظ القوم.
- حرص الصحابة – رضي الله عنهم –على صلاة الليل رغم ما بهم من إعياء.
- من أسباب دفع النوم التشاغل بعمل فيه حركة مع تجنب الجلوس أو الاستناد لشيء.
- سؤال من كلف بعمل عن سبب عدم إتمامه.
- نوم بلال – رضي الله عنه كان سبباً لتشريع قضاء الفائتة.
- الانتقال عن المكان الذي حضر فيه الشيطان.
- وجوب قضاء الفائتة على من كان نائماً ورفع الإثم بالأداء من سماحة الإسلام.
- قضاء الفوائت في جماعة.
- الصلاة لذكر الله تعالى.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوان وحي الحديث تحت عنوان الصلاة:

إن الصلاة بها الصلات عميمة ... وبها يكون من الصلاء نجاكا[1]

وإذا بليت من الزمان بشدة ... فافزع لها تفزع بها بلواكا[2]

هي قرة العينين جالبة الرضا ... هي في الخطوب الحالكات ضياكا

وعماد دين الله باب فتوحه ... وطريق جنته وسرُّ هَنَاكا

وأجلُّ ما يدنيك من مولاكا ... ويحط عنك ولو يجم خَطاكا

هي طهرة ومصحة وسماحة ... ورياضة ووجاهة وبهاكا

ريحان أرواح منابع فكره ... إشراق أنوار ضياء نماكا

تدعو إلى خير الخلال وإنها ... لَعَنِ الفواحشِ كُلِّهَا تنهاكا

فوق السماء بليلة الإسراء قد ... فرضت فكان بها سموُّ سراكا

فاسْكُنْ بها قَلْباً وَسَكِّنْ قَالَباً ... فبها تناجي خير من ناجاكا

واطرح بها غيراً وقل متبتلاً ... إياك نعبد ربنا إياكا

أنت المعين ونرتجيك معونة ... فيما نحوز به كريم رضاكا

---

(١) الصلات: العطايا جمع صلة. والصلاء: النار. (٢) افزع لها: الجأ إليها. وتفزع: تَزُلْ.

٢٣٨ - آل البيت ﷺ

عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رَبِيبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الآيَةُ (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ (١) أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (٢). فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ فَدَعَا فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ (٣) ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا. قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ أَنْتِ عَلَى مَكَانِكِ وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ (٤). رواه الترمذي ومسلم (٥).

---

(١) الرجس : الإثم والدنس ، وقيل هو : الشك وقيل العذاب . قال الأزهري: الرجس اسم لكل مستقذر .

(٢) آية رقم ٣٣ من سورة الأحزاب .

(٣) فجللهم بكساء: غطاهم به ، قال شيخنا الخطيب ﷺ وظاهر الحديث أن المراد بأهل البيت هؤلاء ، وقال بعضهم : المراد هؤلاء وأمهات المؤمنين نظراً للسياق ، ولا مانع من إرادة الجميع وخص هؤلاء لمزيد فضلهم .

(٤) قال صاحب تحفة الأحوذي : يحتمل أن يكون معناه أنت على خير وعلى مكانك من كونك من أهل بيتي ولا حاجة لك في الدخول تحت الكساء كأنه منعها من ذلك لمكان عليٍّ ، ويحتمل أن يكون المعنى أنت على خير وإن لم تكوني من أهل بيتي كذا في اللمعات، قلت والاحتمال الأول هو الراجح بل هو المتعين .

(٥) سنن الترمذي كتاب التفسير — حديث رقم ٣٢٠٥ التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٢١٥.

ما يؤخذ من الحديث:

- فضل آل البيت ورفعة منزلتهم عند الله.
- تكفل الله بحفظهم ورعايتهم.
- حب جميع آل البيت واجب على كل مسلم.
- الاقتداء بمن تمسك منهم بشرع الله.

ويقول شيخنا الطيب ﷺ في ديوانه مجامع الأنوار في قصيدته السيد البدوي ﷺ.

الله طهركم وأذهب عنكمو رجساً وحلاكم أجل حلاه

من حبَّ جدكمو أحبكمو ومن يبغضكمو يبغضه من أنشاه

من جاء يوم العرض وهو يودكم برجائكم يدخل حمى مولاه

أسُّ الحنيفة حبكم فمحبكم ناج ومبغضكم فما أرداه

لا تنفع الأعمال إلاَّ من درى حق النبي معظماً قرباه

ويقول ﷺ في إتحاف الأخيار بأصح العقائد والأذكار في قصيدته – رضي الله عنك يا سيدتي زينب:

يا أساة لداء دين ودنيا من نظرتم خلا من الأسقام

حبكم واجب نجاة محب وقلاكم مستوجب للغرام

طهر الله بيتكم أي طهر وبكم طهرت كرام الأنام

أنتمو قدوة الكرام ونور واعتصام لمبتغي الاعتصام

فعلى جدكم صلاة إلهي وعليه منه أتم السلام

وعليكم يا آله وعلى الصحب ونرجو بكم جميل الختام

٢٣٩ - زواج النبي ﷺ بزينب - رضي الله عنها -

عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا قَالَتْ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ كَاتمًا شَـيْئًا مِـنَ الْوَحْيِ لَكَتَمَ هَذه الآيَةَ. (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذي أَنْعَمَ [١] اللَّهُ عَلَيْه وَأَنْعَمْتَ عَلَيْه أَمْسكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْديه وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمنِينَ حَـرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا منهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّه مَفْعُولاً) [٢].

ولَمَّا تَزَوَّجَهَا النبيُّ ﷺ قَالُوا تَزَوَّجَ حَلِيلَةَ ابْنه فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (مَـا كَـانَ

---

(١) (إذ تقول للذي أنعم الله عليه) : يعني بالإسلام . (وأنعمت عليـه) : يعـني بـالعتق فأعتقته، وهو زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وكان من سـبي الجاهليـة اشـتراه رسول الله ﷺ في الجاهلية وأعتقه وتبناه . (أمسك عليك زوجك): وهي زينب بنـت جحش – رضي الله عنها – ابنة عمته ﷺ . (واتق الله): في أمر طلاقها عندما جـاء يشتكي زيدٌ زينب وزهوها عليه وهمَّ بطلاقها. (وتخفي في نفسك). الذي أخفاه هـو ما أخبره الله به من أنها ستصير إحدى أمهات المؤمنين بعد طلاقها من زيد- (مـا الله مبديه): مظهره وهو نكاحها إن طلقها زيد. (وتخشى الناس) وتخاف أن يقول النـاس تزوج محمد زوجة ابنه. (والله أحق أن تخشاه): في كل شيء، وتزوجْها ولا عليك من قول الناس. (فلما قضى زيد منها وطرا): بنكاحها والدخول بها بحيث لم يبق له فيهـا حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه ، وقيل المراد به الطلاق ؛ لأن الرجـل إنما يطلق امرأته إذا لم يبق له فيها حاجة. (زوجناكها): أي لم نجعل ولي مـن الخلـق يعقد لك عليها تشريفا لك ولها وهذا من خصوصياته ﷺ التي لا يشاركه فيها أحـد بإجماع المسلمين ، وكان تزويجه بزينب سنة ٥ هـ وقيل سنة ٣ هــ ، وهـي أول من مات من زوجاته الشريفات المطهرات، ماتت بعده بعشر سنين عن ٥٣ سنة .

(٢) آية رقم ٣٧ من سورة الأحزاب .

مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)[١]. وَكَانَ النَّبِـيُّ ﷺ تَبَنَّاهُ وَهُوَ صَغِيرٌ حَتَّى صَارَ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ فنزلت (ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الـدِّينِ وَمَـوَالِيكُمْ)[٢]. فُلانٌ مَوْلَى فُلانٍ وَفُلانٌ أَخُو فُلان. رواه الترمذي والبخاري[٣].

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ بنت جحش﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْـدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ قال: فكانت تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَلُكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ .

رواه البخاري والترمذي[٤].

---

(١) الأحزاب آية رقم ٤٠ .

(٢) الأحزاب رقم ٥ .

(٣) سنن الترمذي كتاب التفسير رقم ٣٢٠٧ ، صحيح البخاري — كتاب المناقب رقم ٢٢٨٦ .

(٤) صحيح البخاري كتاب التوحيد رقم ٧٤٢١ ، سنن الترمذي — كتاب التفسير رقم ٣٢١٢ .

ما يؤخذ من الحديث:

- التبليغ واجب للرسل والكتمان مستحيل عليهم لأنه ينافي مهمة الرسالة.
- النقد صفة مطبوع عليها أكثر الناس حقاً كان أم باطلاً.
- عادة التبني كانت متأصلة راسخة عند العرب وكان أمرها عظيم فلا يكون هدمها إلاّ مع صاحب الجاه العظيم ﷺ.
- رفعة منزلة زيد بن حارثة حيث لم يذكر اسم أحد من الصحابة صريحاً في القرآن إلا اسمه.
- مراقبة أمر الله عند تنفيذ أوامره وترك نقد الناقدين.

- ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه وحي الحديث تحت عنوان ما أكرم هذه النصائح:

خذ ما يفيدك عاجلاً أو آجلاً	واطرح كلام الناقدين وراكا
إن كنت رب ندىً فأنت مبذر	أو كنت ذا بخل فما أكداكا
وإذا اهتديت فأنت صاحب حاجة	وإذا غويت فأنت ما أغواكا
لم يسلم المولى على إحكامه	منهم فكيف تريد أنت نجاكا

ويقول ﷺ في عقيدة الخطيب:

وواجب للرسل الأمانه	والصدق والتبليغ والفطانه
ويستحيل الكذب والعصيان	والعيب والغفلة والكتمان
وجائز في حقهم ما لا يرى	نقيصة ولم يكن منفرا

ويقول ﷺ في ديوانه بشرى العاشقين عن سر تعدد أزواج النبي ﷺ:

وليس منهن إلاّ من تزوجها	لحكمة لم تكن تخفى على فهم
مكافئاً أهلها[١] أو عاقداً صلة	بقومها[٢] أو لها مرعية الحرم[٣]
أو هادماً عادة في قومه رسخت	والهدم بالفعل فوق الهدم بالكلم
كزينب والذي ينمي إليه هوىً	فيها على رأسه يهوى إلى الحطم
لم يهوها غادة عذراء خالية	فكيف والزوج محبوب إليه نمى
الله زوجها مختاره فقضى	على المعرة في أنثى دعيهم[٤]

(١) كعائشة وحفصة. (٢) كميمونة بنت الحارث الهلالية وعمرها خمسون سنة. وكجويرية بنت الحارث وصفية بنت حيي بن أخطب بعد أن أسرهما المسلمون في الحرب فكن سبباً في إسلام الكثير من قومهن من المشركين واليهود.

(٣) كسودة بنت زمعة إذ تزوجها ليعولها بعد أن مات زوجها مهاجراً ونبذها أهلها لإسلامها و لم تكن ذات مال ولا جمال. وكأم سلمة إذ مات زوجها شهيداً وترك أولاداً يحتاجون إلى عائل فتزوجها مع كبر سنها وفاءً لزوجها وعناية بأولادها.

(٤) المعرة: المساءة . والدعى: المتبني.

٢٤٠ – غيرة أمنا عائشة على رسول الله ﷺ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَغَارُ[١] عَلَى اللاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَأَقُولُ: أَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا– فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّـهُ تَعَالَى (تُرْجِئُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ[٢] وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْـتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ)[٣]. قُلْتُ: مَا أُرَى رَبَّكَ إِلا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ[٤].

وعنها قالت: كَانَ النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَسْتَأْذِنُ فِي يَوْمِ الْمَرْأَةِ مِنَّا بَعْدَ هَذه الآيَة (تُرْجِئُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) قَالَتْ مُعَاذَةُ: فقلت لها مَا كُنْـتِ تَقُـولِينَ؟ قَالَتْ: كُنْتُ أَقُولُ لَهُ: إِنْ كَانَ ذَاكَ إِلَيَّ فَإِنِّي لا أُوثِرُ عَلَيْكَ أَحَدًا يا رسول الله.

---

(١) الغَيْرَةُ: بفتح الغين وسكون الياء وفتح الراء هي تغير القلب وهيجـان الغضـب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص وأشد ما يكون بين الزوجين.

(٢) اختلف في تفسير قوله تعالى : ﴿ تُرْجِئُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْـكَ مَـنْ تَشَاءُ﴾ منهن وتمسك من تشاء ، وقال الحسن تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من النساء ،وقيل تَقْبَلُ من تشاء من المؤمنات اللائي يهبن أنفسهن فتؤويها إليك وتترك من تشاء فلا تقبلها . قال القرطبي: وأصح ما قيل هو التوسعة على النبي ﷺ في ترك القسمة فلا يجب عليه القسمة بين زوجاته فكان مخيراً إن شـاء قَسَمَ وإن شاء لم يقسم ولكنه كان يقسم من قبل نفسه دون أن يفـرض عليـه ذلك تطييباً لنفوسهن وصوناً لهن عن الغيرة.

(٣) سورة الأحزاب آية ٥١ .

(٤) فكان ما فعل الله لرسوله من تفويض الأمر إليه في أحوال أزواجـه أقـرب إلى رضاهن معه وإلى استقرار أعينهن بما يسمح به وإذا علمن أن الفعل من الله قرت أعينهن بذلك ورضين لأن المرء إذا علم أنه لا حق له في شيء كان راضياً بمـا أوتي منه وإن قل. وإن علم أن له حقاً لم يقنعه ما أوتي.

رواهما البخاري[1].

---

(١) صحيح البخاري – كتاب التفسير – حديث رقم ٤٩٨٧ ، ٤٧٨٩ .

ما يؤخذ من الحديث:

- الغيرة التي جبلت عليها النساء فكانت أمنا عائشة – رضي الله عنها- أشد الناس غيرة – حبًّا لرسول الله ﷺ.
- الشرف الذي تريد أن تحظى به النساء اللائي وهبن أنفسهن للرسول ﷺ .
- نزول القرآن توسعة على الرسول ﷺ .
- عظم الأخلاق التي كان عليها رسول الله ﷺ حيث آثر أن يقسم بين نسائه مع أن الله جعل الأمر لمراده.
- حب أمنا السيدة عائشة للنبي ﷺ وأنها لا تؤثر عليه أحداً.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه بشرى العاشقين تحت عنوان أزواجه ﷺ:

لله أزواجـه اللائـي شـرفن بـه	ونلن ما لم تنل أنثى مـن العظـم
قد ضمهن رسـول الله في كنـف	ومن يضم رسـول الله لا يضـم
أنس لوحشـته عـون لدعوتـه	بث لشرعته أمـن مـن السـأم
أحواله ذكـرت آدابـه نشـرت	أحكامه نقلت للنـاس كـالحكم
ما يستح الغيد أن يعلمن من رجل	علمن من غادة من غـير محتشـم

---

٢٤١ - أبو بكر يدفع عن النبي ﷺ

سُئل عَبْدُ اللَّه بْنُ عَمْرٍو - رضي الله عنهما - عن أَشَدِّ مَا صَنَعَه الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـه وَسَـلَّمَ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الْكَعْبَة إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْط فَأَخَذَ بِمَنْكِب رسـول الله ﷺ، فَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقه فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَديدًا فَأَقْبَلَ أَبو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِه وَدَفَـعَ عَـنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ وَقَالَ: (أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَـدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ)(١).

---

(١) غافر آية/ ٢٨ . أي كيف تقتلون رجلاً لكونه يقول ربي الله وقد أقـام لكـم البرهان على صدق ما جاءكم من الحق ثم تنـزل معهم في المخاطبـة فقـال: ﴿وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ يعني إن لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه فلا تؤذوه فإن يك كاذباً فإن الله سبحانه وتعالى سيجازيه على كذبـه بالعقوبة في الدنيا والآخرة ، وإن يكن صادقاً وقد أذيتموه يصبكم بعض الـذي يعدكم فإنه يتوعدكم في الآخرة، فمن الجائز عندكم أن يكون صادقاً فينبغي أن لا تتعرضوا له بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه .

قال ابن حجر: تعددت هذه الواقعة فقد رواها عن عثمان بن عفان وفيهـا: أن رسول الله ﷺ قال لهم: " أما والله لا تنتهون حتى يحل بكم العقـاب عـاجلاً " فأخذهم الرعدة.

ويدل على التعدد أيضاً ما أخرجه البيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس عن فاطمة عليها السلام قالت: اجتمع المشركون في الحجر فقالوا: إذا مـرَّ محمـد ضربه كل منا ضربة، فسمعت ذلك فأخبرته فقال: "اسكتي يا بنية" ، ثم خـرج فدخل عليهم فرفعوا رؤوسهم ثم نكسوا ، قالت فأخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال: " شاهت الوجوه" فما أصاب رجلاً منهم إلاّ قتل يوم بدر كافراً.

رواه البخاري[1].

وقد أخرج أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح عن أنس قال: لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غشي عليه فقام أبو بكر فجعل ينادي: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ فتركوه وأقبلوا على أبي بكر. وقد أخرجه أبو يعلى من حديث أسماء بنت أبي بكر وفيه : فأتى الصريخ إلى أبي بكر فقال: أدرك صاحبك . قالت: فخرج من عندنا وله غدائر أربع (أربع ضفائر) وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ فلهوا عنه وأقبلوا على أبي بكر فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلاّ رجع معه (سقطت من رأسه).

وأخرج البزار من رواية محمد بن علي عن أبيه أنه خطب فقال: من أشجع الناس؟ فقالوا أنت. قال: أما إني ما بارزني أحد إلا أنصفت منه. ولكنه أبو بكر. لقد رأيت رسول الله ﷺ أخذته قريش فهذا يجؤه وهذا يتلقاه ويقولون أنت تجعل الآلهة إلهاً واحداً ، فو الله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله . ثم بكى عليٌّ ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبو بكر؟ فسكت القوم ، فقال علي: والله لساعة من أبي بكر خير منه ، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا يعلن بإيمانه.

(١) صحيح البخاري – كتاب التفسير – حديث رقم ٣٨٥٦ . التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٢٣٤ .

ما يؤخذ من الحديث:

- قوة احتمال رسول الله ﷺ للأذى الذي لقيه من قومه في سبيل نشر الدعوة.
- صلف المشركين وخبثهم وكيدهم وشدة عداوتهم للإسلام.
- شجاعة أبي بكر الصديق ﷺ ودفاعه عن رسول الله ﷺ حتى أنه كان يضربهم ليصرفهم عن رسول الله ﷺ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه بشرى العاشقين تحت عنوان بعض ما لقيه ﷺ من قومه:

الحق أبلج لكن ليس يسلكه ... إلا الذي منح التوفيق من قدم

ما جئت بدعاً ولكن بالذي رسمت ... إلى الورى رسلهم في الأعصر القدم

أفي الصبا مأمون ومؤتمن ... وفي الكهولة تأتي فعل متهم

ما كذبوك ولكن الألى كفروا ... لجهلهم جحدوا آيات ربهم

وحينما أمعنوا في الكيد وابتدعوا ... ضروبه وأرادوا شر مقتشم[1]

وآل ياسر لم يلفوا مياسرة ... وما بلالٌ بَلالاً شام من ألم[2]

واذكر صهيباً وخباباً وما لقيا ... كعامر في سبيل الله من جشم[3]

وكم أذى لقى الأصحاب فيه وهم ... على جميل اصطبار جلّ عن برم

وفي مجنة بل في ذي المجاز وفي ... عكاظ كم لقى المختار من شجم[4]

دعاهمو أن يطيعوا أمر بارئهم ... ويسلموا فينالو غاية السلم

ويمنعوه إلى تبليغ دعوته ... فلم يقابل بغير الرجم بالرَّجم

---

(١) مقتشم : استئصال.

(٢) البَلالُ: ما يُبَلُّ به الحلق من ماء أو لبن

(٣) جشم:تعب ومشقة .

(٤) الشجم: الخبثاء الدواهي.

٢٤٢ - القرشيان والثقفي عند البيت

عَنْ عَبْدِاللَّه رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ[١] قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ، كَثِيرٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ[٢]، قَلِيلٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتُرَوْنَ[٣] أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ قَالَ الآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا. وَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا[٤] فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ[٥] أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ[٦] الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ) [٧].

---

(١) البيت: الكعبة .

(٢) فيه إشارة إلى أن الفطنة قلما تكون مع البطنة ، قال الشافعي رحمه الله : ما رأيت سمينا عاقلاً إلا محمد بن الحسن .

(٣) أترون : أي تظنون .

(٤) قال المباركفوري : وجه الملازمة فيما قال أن نسبة جميع المسموعات إلى الله على السواء ، وأبطل القياس الفاسد في تشبيهه بالخلق في سماع الجهر دون السر، وأثبت القياس الصحيح حيث شبه السر بالجهر لعلة أن الكل إليه سواء ، وإنما جعل قائله من جملة قليل الفهم ؛ لأنه لم يقطع به وشك فيه .

(٥) تستترون: تتقون. والمعنى أما كنتم تتقون في الدنيا أن تشهد عليكم جوارحكم في الآخرة. وقيل بمعنى تستخفون من أنفسكم حذراً من شهادة الجوارح عليكم ولا يمكن للإنسان أن يخفي عمله عن نفسه إلا بتركه .

(٦) الظن: بمعنى العلم . قال عمر بن الخطاب في هذه الآية : هؤلاء قوم كانوا يدمنون المعاصي ولا يتوبون منها ويتكلون على المغفرة حتى خرجوا منها مفاليس .
وقال الحسن: ألا إنما عمل الناس على قدر ظنهم بربهم فأما المؤمن قد أحسن الظن بربه فأحسن العمل وأما الكافر والمنافق فأساءوا الظن بالله فأساءوا العمل.

(٧) سورة فصلت آية ٢٢ ، ٢٣.

رواه الشيخان والترمذي[١].

(١) صحيح البخاري – كتاب التفسير – حديث رقم ٤٨١٧، صحيح مسلم – كتاب صفات المنافقين– حديث رقم ٢٧٧٥، سنن الترمذي– كتاب التفسير رقم ٣٢٤٨.

ما يؤخذ من الحديث:

- إن السِّمَنَ وكثرة الشحم قلما تكون مع الفطنة والذكاء.
- إثبات القياس الصحيح وإبطال القياس الفاسد.
- ستر العبد نفسه عن المعاصي.
- شهادة السمع والبصر والجلود على العبد يوم القيامة.
- يجب على العبد أن يحسن الظن بالله فيحسن العمل ولا يتكل على المغفرة.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه وحي الحديث تحت عنوان لا تخفى علي الله خافية:

يا من خلا ويظن خلوته أما ... تدري بأن الله جل يراكا[١]

والكاتبون الحافظون لكل ما ... أحدثت أو أخطرته سَوْداكا[٢]

لا يستقيم خَلاك عنك ولو خلا ... عن كل ما خلق الإله خلاكا

أنيّ وسمعك مثل عينك ذاكرٌ ... كالجلد يوم قيامة مأساكا[٣]

والله مَالَكَ لو ملكت جميعها ... إلاَّ اللباس ومطعمٌ سكناكا

ولكَ الوبال بها سوى ما قدمت ... لنجاتها يوم الردى كفاكا

(١) وقلت في هذا المعنى:

يا ويل مَن بَين الورى في طاعة ... وإذا خلا ينساب في العصيان

أيظن خلوته وبارئه له ... راء وفوق العاتق الملكان

ضل السبيل ومن يضل فحقه ... يوم القيامة محرق النيران

(٢) سوداك: قلبك.

(٣) قال الله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

وقلت:

ولا يخلو امرؤ يخلو ولكن ... رقيباه وربهما حضور

٢٤٣ – مروان وعبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ

كَانَ مُعَاوِيَةُ ﷺ اسْتَعْمَلَ على الحجاز مَرْوَانَ فَخَطَبَ فَجَعَلَ يَـذْكُرُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ كَيْ يُبَايَعَ لَهُ بَعْدَ أَبِيه[١] فَقَالَ لَهُ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ شَيْئًا[٢] فَقَالَ خُذُوهُ فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ فَلَمْ يَقْدِرُوا عليه[٣] – فَقَالَ مَرْوَانُ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيه (وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْه أُفٍّ لَكُمَا[٤] أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ[٥] وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي[٦]، وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّـهَ وَيْلَـكَ آمِنْ[٧] إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ: مَا هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)[٨]. فَقَالَتْ عَائِشَةُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِينَا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ[٩] إِلا أَنَّـه

---

(١) وفي رواية : خطب مروان فقال: إن الله قد أرى أمير المؤمنين رأياً حسناً في يزيد وأن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر .

(٢) قال: هرقلية أن أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده ، ولا أهل بيتـه ومـا جعلها معاوية إلاّ كرامة لولده.

(٣) أي امتنعوا من الدخول خلفه إعظاماً لعائشة – رضي الله عنها..

(٤) أتضجر منكما.

(٥) من قبري.

(٦) ولم تخرج من قبورها.

(٧) با لله وبالبعث.

(٨) أكاذيبها ، ورأي مروان ضعيف فإن عبد الرحمن أسلم فكان من خيار الصحابة. والآية في الكافر العاق لوالديه والله أعلم . الآية رقم ١٧ من سورة الأحقاف.

(٩) تقصد في بني أبي بكر وإلاّ فقد أنزل الله في أبي بكر" ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِـي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِه لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾.

أَنْزَلَ عُذْرِي[١]. رواه البخاري [٢].

(١) أي الآية التي في سورة النور في قصة أهل الإفك وبراءتها مما رموها به — والآيات التي في عذرها في غاية المدح لها .

(٢) صحيح البخاري — كتاب التفسير — رقم ٤٨٢٧ .

ما يؤخذ من الحديث:

- حب البنين والميل إليهم جعل معاوية ﷺ يأخذ البيعة لابنه يزيد من الناس قسراً.
- شجاعة عبد الرحمن بن أبي بكر — رضي الله عنهما- ومعارضته للباطل حتى ولو كان من الحاكم.
- حماية الله للرسول وآل بيته جعلت جنود مروان لا يجرؤن على دخول بيت أم المؤمنين عائشة — رضي الله عنها-.
- القبيح ما قبحه الله عل لسان رسوله، والحسن ما حسنه الله على لسان رسوله.
- ضعف رأي مروان فإن عبد الرحمن أسلم فكان من خيار الصحابة والآية في الكافر العاق لوالديه. والله أعلم.

ويقول شيخنا الخطيب رضي الله عنه في ديوانه وحي الحديث من قصيدة معاوية ﷺ:

واذكر معاوية الحليم وما له ... في نشر دين الله من نعماكا

يا كاتب الوحي الكريم وصاحب النسـ ... ـب العظيم وهادياً لهداكا

يا جيدا تدبيره يا صائباً ... تفكيره يا محسناً لقراكا

يا أحلم الحلماء غير مدافَعٍ ... يا أجود الأجواد ما أقراكا

وُلّيتَ حكم الشام من زمن الصبا ... فَدَرَت طبائع من وَلِيت هُناكا

وعرفت كيف تسوسهم وتميلهم ... كَيْمَا يكونوا دائماً نصراكا

والناس تخضع رغبة أو رهبة ... وخضوعهم أبقى على رُغباكا[1]

يا عافياً عمن أساء وعالماً ... بسياسة البعدى وذي قرباكا

ومعمماً منك الجميل وطالما ... جعل الجميل أخا القلى يهواكا

وجنى عليك هوى يزيد ولم يزل ... يجني عليك هوى البنين أذاكا

وليته قسرا بصورة بيعة ... يا ليت شعري ما لذاك دعاكا

أتعصُّبٌ لبني أمية خفته ... إن تأبهُ جزماً أتاه سواكا

ولقد يؤدي حقبة لتنازع ... لم يدْرِ غايته سوى مولاكا

فأتيته بالرغم منك وربما ... تودي ببعضك راغباً إبقاكا

هي زلة مهما تَجِلُّ خفيفة ... في جنب خير قدمَتْه يداكا

ولعل من بالعفو تحبو خلقه ... يحبوك خير العفو يوم جزاكا

٢٤٤ - زاد الجن ودوابهم

قَالَ عَلْقَمَةُ ﷺ قُلْتُ لابْنِ مَسْعُود : هَلْ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّـه عَلَيْـه وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ مِنْكُمْ أَحَدٌ. قَالَ: لا وَلَكِنْ قد افْتَقَدْنَاهُ ذَاتَ لَيْلَة وَهُـوَ بِمَكَّـةَ فَقُلْنَا: اغْتِيلَ أَوِ اسْتُطِيرَ[1]. فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَة بَاتَ بِهَا قَوْمٌ حَتَّى إِذَا أَصْبَحْنَا إِذَا نَحْـنُ به يَجِيءُ مِنْ قِبَلِ حِرَاءٍ فَذَكَرُوا لَهُ الَّذِي كَانُوا فيه فَقَالَ ﷺ : (أَتَانِي دَاعِي الْجِـنِّ فَأَتَيْتُهُمْ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ) فَانْطَلَقَ فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَأَثَرَ نِيرَانِهِمْ[2]. وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ: (كُلُّ عَظْمٍ يُذْكَرُ اسْمُ اللَّه عَلَيْه[3] يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا كَانَ لَحْمًا، وَكُلُّ بَعْـرَة أَوْ رَوْثَة عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ[4]). قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: (فَلا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا[5] فإنَّهما زادُ إخوانكم الجنِّ). رواه االترمذي بسند صحيح[6].

وقيل لعَبْدِاللَّه ﷺ : مَنْ آذَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ بِـالْجِنِّ لَيْلَـةَ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ قَالَ: آذَنَتْ بِهِمْ شَجَرَةٌ[7].

وقيل للنبي ﷺ : مَا بَالُ الْعَظْمِ وَالرَّوْثَ لا يستنجى هما قَالَ: هُمَا مِنْ طَعَامِ

(١) أي هل اغتاله أحد أو طار به من بيننا شيء تلك الليلة. فيظهر أن هذه المرة غير التي عاد فيها من الطائف فإن مكث فيهم شهراً يدعوهم للإسلام فأبوا فعاد لمكة وسمعه نفر من الجن في طريقه كما ورد في الآية.

(٢) لأنهم كانوا من جن نصيبين وهي بلدة مشهورة بالجزيرة .

(٣) يذكر اسم الله عليه عند ذبحه أو أكله أو رميه.

(٤) والبعرة من ذي الظلف والخف كالإبل والغنم. والروثه من ذي الحافر كالحمار.

(٥) أي العظم وروثة الدواب والبعرة تنجس بالاستجمار بها. فيمتنع الجن عن أكلها.

(٦) سنن الترمذي كتاب التفسير حديث رقم ٣٢٥٨ ، مسلم رقم ٤٥٠ .

(٧) آذنت: أي أعلمته باجتماعهم وذلك أول مرة سمعوه يقرأ القرآن كما قاله ابـن عباس – رضي الله عنهما- ثم بعد ذلك وفدوا إليه كما رواه ابن مسعود ﷺ .

الْجِنِّ وَإِنَّهُ أَتَانِي وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِينَ، وَنِعْمَ الْجِنُّ فَسَأَلُونِي الزَّادَ فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ لا يَمُرُّوا بِعَظْمٍ وَلا بِرَوْثَةٍ إِلا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا [(١)].

رواهما البخاري في مناقب الأنصار [(٢)].

---

(١) أي وجدوه أحسن ما كان فينبغي وضع العظم في مكان طاهر ، وتركه يسيرا قبل إلقائه مع الكناسة حتى يطعم منه مؤمنوا الجن.

(٢) التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ١٤١ .

ما يؤخذ من الحديث:

- خوف الصحابة وشدة قلقهم على رسول الله ﷺ .
- كان وفد الجن يأتون رسول الله ﷺ ويدعونه فيبيت عندهم يقرأ عليهم ما أنزل عليه من القرآن.
- الجن يكون لهم أثر في اللأرض وأثر لنيرانهم.
- تسمية الله عند كل ذبح أو أكل أو إلقاء ليكون طعاماً لإخواننا من الجن.
- المؤمن منهم يتقذر مما يتقذر منه بنو آدم.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه روضات الخطيب تحت عنوان مكانته ﷺ .

أبدى مقامك أن ربك سيدي	صلى عليك وأكرمُ الأجناد
وبها مع التسليم قد أمر الأولى	سبقت لهم منه يد الإسعاد
ونُعت بالخلق العظيم بذكره	وبعمرك الغالي تألى الهاد
وبعثت تكملة المكارم كلها	وطهارةً للأرض من إفساد
أنت الرؤوف بنا وأنت رحيمنا	وسراجنا قمر العلاء الباد
أنت المبشر والنذير ورحمة	للعالمين وأنت نور هاد
إن الذين يبايعونك إنما	قد بايعوا المولى بلا ترداد
ما من كتاب منزل إلا به	بشرى الوجود بأحمد الحماد

٢٤٥ – قصة ثابت بن قيس[١]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افْتَقَدَ[٢] ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ فَقَالَ رَجُلٌ[٣]: يَا رَسُولَ اللَّه أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ[٤]. فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ مُنَكِّسًا رَأْسَهُ[٥]. فَقَالَ له: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ[٦] فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ[٧] وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النار فَأَتَى الرَّجُلُ النبي ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ [٨].

---

(١) هو ثابت بن قيس بن شماس خطيب رسول الله ﷺ وعند مسلم خطيب الأنصار.

(٢) لما نزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ.... ﴾ الآية قال: كنت أرفع صوتي فأنا من أهل النار فقعد يبكي في بيته وأغلق بابه.

(٣) هو سعد بن عبادة لأنه من قبيلته وعند الطبري هو عاصم بن عدي.

(٤) وفي رواية: يا رسول الله هو جاري .

(٥) منكساً رأسه : مطأطئاً رأسه خوفاً .

(٦) كذا ذكر بلفظ الغيبة وهو التفات وكان السياق يقتضي أن يقول: كنت أرفع صوتي.

(٧) الرفع وعلو صوته. وفي رواية مسلم: " فقال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً " .

(٨) قال أنس: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة فلما كان يوم اليمامة كان في بعضنا بعض الانكشاف فقال: أفٌّ لهؤلاء وما يعبدون، وأفٌّ لهؤلاء وما يصنعون، فأقبل وقد تكفن وتحنط وقاتل حتى قتل.

رواه الشيخان[١].

(١) صحيح البخاري ٣٦١٣- كتاب المناقب - سورة الحجرات ج ٣ ص ١٩١ .

ما يؤخذ من الحديث:

- النبي ﷺ كان يتعهد أصحابه ويسأل عمن يغيب منهم عن مجلسه.
- الحالة الشديدة التي كانت تعتري الصحابة عند نزول القرآن خوفاً من إحباط عملهم.
- معجزة النبي ﷺ وصدق نبوءته بقوله عن ثابت بن قيس إنه من أهل الجنة حيث استشهد يوم اليمامة.

٢٤٦ - ثابت بن قيس بن شماس برواية الصفوة

كان ثَابتُ بنُ قيس بنِ شماسٍ لَمَّا نَزلَ قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ)[1]. جلَسَ يبكي فِي بَيْتِهِ وَقَالَ: أخاف أن يكونَ قد حَبِطَ عَمَلي، فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ :(بَلْ تَعيش بخيرٍ وتموت بخيرٍ).

ولما نزل قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)[2] فعلَ كذلكَ فبعثَ إلى النبيِّ ﷺ فقال: إني أحبُّ الجَمَالَ، وأحبُّ أن أَسُودَ قومي[3]. قالَ: لستَ منهمْ بلْ تعيش حَميداً ، وتقتل شهيداً ، ويدخلك اللهُ الجنةَ – فلمَّا كانَ يومَ اليمامة خرجَ مع خالد بن الوليد إلى مسيلمةَ فانكشفَ المسلمونَ فقالَ ثابتٌ وسالمُ مولَى أبي حذيفةَ : ما هكذا كُنَّا نُقاتلُ مَعَ رسول الله ﷺ فاحتفرَ كلٌّ منهُمَا حُفَيْرَةً لنفسه فحمَلَ القومُ عليهما[4] فثَبتَا حتَّى قُتلاَ جميعاً – رضيَ اللهُ عنهما ؛ وكانَ عَلَى ثابتٍ درعٌ لهُ ثَمينةٌ فَمرَّ به رجلٌ منْ الْمُسلمينَ فأخذهَا عَنْهُ ، فَبيْنَمَا رجلٌ منَ الْمُسْلمينَ نائمٌ إذ أتاهُ ثابتٌ في منامه فقَالَ لهُ : إنِّي موصيكَ بوصيةٍ[5] فإياكَ أن تقولَ : هذا حُلْمٌ فتُضيِّعَهُ: إنِّي لَمَّا قتلتُ بالأمسِ مرَّ بِي رَجُلٌ فَأَخذَ دِرْعِي[6]. ومنزلُهُ في أقصى الناسِ، وعندَ خبائه[7] فرسٌ يستَنُّ في طِوَلِه[8]، وقدْ كفأَ على الدرعِ بُرْمَةً[9] وفوقَ

---

(١) الحجرات آية ٢ .

(٢) لقمان آية رقم ١٨ .

(٣) أكون سيداً عليهم .

(٤) هجموا عليهما .

(٥) موصيك: أي أعهد إليك بتنفيذ شيء .

(٦) الدرع: قميص منسوج من حلقات الحديد متشابكة تلبس وقاية أثناء المعارك.

(٧) خباء: بيت من وبر أو شعر أو صوف .

(٨) يستن: يعدو . طوله: حبله .

(٩) برمة: وعاء أو قدر من حجر أو فخار .

البُرْمَةِ رَحْلٌ(١)، فَأْتِ خالدَ بْنَ الوليدِ حتَّى يَبْعَثَ إلَى درعِي فَيَأْخُذَهَا ، فإذا قـدمت المدينة على خليفةِ رسولِ الله ﷺ فقل له أن عَلَيَّ منِ الدَّيْنِ كذا ، وكذا، وفـلانٌ من رقيقي عتيقٌ، وفلانٌ. فَأَتَى الرجلُ خالدَ بْنَ الوليدِ فَأَخْبَرَهُ فَبَعَـثَ إلى الـدرعِ فأخذها منَ الموضعِ الذي ذُكِرَ ، وحدَّثَ أبا بكرِ الصديقِ برؤيَاهُ ، فلاَ نعلم أحداً أُجيزَتْ وصيَّتُهُ بعدَ موتِهِ غَيْرَ ثابتِ بنِ قيسٍ ﷺ(٢).

---

(١) رحل: ما يوضع على ظهر البعير للركوب.

(٢) صفوة الصفوة لابن الجوزي ص ١٠ . وذكر القاضي عياض في كتابه (الشـفا بتعريف حقوق المصطفى) في الفصل العشرين (في إحياء الموتى وكلام الصـبيان والمراضع وشهادهم له بالنبوة).

روى عن عبد الله بن عبيد الأنصاري : كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول: محمد رسول الله أبو بكـر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فإذا هو ميت.

ما يؤخذ من الحديث:

- شجاعة ثابت بن قيس، وثابت مولى أبي حذيفة وثباتهم في المعركة.
- تنفيذ وصية الميت إن كانت الرؤيا ممن يشهد لهم بصدق الرؤيا وأخبر فيهـا عن أشياء مطابقة للواقع.
- الدروع والسلاح التي على المحاربين تضم إلى أموالهم ما لم يحتاج إليهـا في المعركة ثم ترد إليهم.
- الطمع والحرص من الصفات الذميمة التي يجب تجنبها.
- قضاء الدين عن الميت من ماله.
- كرامة الأولياء حتى بعد انتقالهم.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه وحي الحديث في قصيدة نشيد الإسلام:

يا بني الإسلام يا أهـل الجـلال ... يا أسوداً ألبست ثـوب الرجـال

لا تهاب الخصم في يوم النـزال ... وترى العيش مع الذل منـون(١)

---

(١) النـزال: القتال. ومنون: الموت

عنكموا قد شاع في كل البلاد إنكم أهل كفاح وجلاد
ما لكم والآن قد آن الجهاد لا أرى منكم عليه مقبلين[١]

كنتمو في العدل آياً بينات ومثالاً طيباً للطيبات
جارت الذكرانَ فيه السيدات فالتقوا في غاية المجد المبين[٢]

هل بلا كدح ينال المرء جاه ومريدُ الموت تأتيه الحياه
ومن الله بداريه جزاه إنه رب يجازي العاملين[٣]

انفروا لله جمعاً أو ثُباتْ ولتكن كالأسد منكم وَثَباتْ
واثبتوا فالفوز مبناه الثبات لا يعين الله غير الثابتين[٤]

ليس بالمؤمن من ضام الأنام أو يلاقي ضائميه بسلام
بل على الإخوان برد وسلام وعلى الأعداء نار وزَبُون[٥]

في سبيل الله لا يخشى الملاما ويرى العيش مع الذل حراما
ينزل الهيجاء صبا مستهاما باسم الثغر ووضاح الجبين

لين الأخلاق بش المنظر ليس بالمسرف أو بالمقتر
لم يكن في قوله بالمفترى يخلق الأنباء من لا يؤمنون[٦]

أمره يدعو إلى النفس العجب أي حال هو فيها لم يثب
حاز خيراً أم به الشر وثب نال أجر الصابرين الشاكرين[٧]

---

(١) الكفاح: استقبال العدو.

(٢) جارت: جرت معهم فيه.

(٣) الكدح: الكد والعمل

(٤) انفروا: اذهبوا مسرعين . لله: للجهاد في سبيله. وثبات:جماعات أي سرية بعد سرية واحدها ثبة. وثَبَاتُ جمع وثبة: نهضات. والثّبَاتْ : الدوام.

(٥) زبون: حرب والمعنى أن الإسلام يمنع صاحبه أن يظلم ويمنعه أن يستكين للظالمين والمسلم عل المسلمين برد وسلام وعلى المجرمين نار وخصام.

(٦) المقتر: المضيق. والمفتري: الكاذب. ويخلق: يكذب.

(٧) وثب به الشر: ظفر. والمعنى أن المؤمن أمره كله خير: فهو مثاب إن نال خيراً لشكره، ومثاب إن ناله شر لصبره.

٢٤٧ – إتيان النبيُّ ﷺ عبدَ اللهِ بن أبي

عَنْ أَنَس بْنِ مَالِك ﷺ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّه بْنَ أُبَـيٍّ(١). فركبَ النَّبيُّ ﷺ حمارًا وَانْطَلَقَ إِلَيْه مع بعض الْمُسْلمينَ، وكانت الأَرْضُ سَبَخَةً(٢) فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبيُّ ﷺ قَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي(٣) فَوَاللَّه لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حمارِكَ . فَقَالَ رَجُـلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: وَاللَّه لَحمَارُ رَسُولِ اللَّه ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا منْكَ. فَغضبَ لعَبْد اللَّه رَجُلٌ منْ قَوْمِه، وَغَضبَ للأنصاريِّ رَجُلٌ منْ قَوْمه . قَالَ: فَكَانَ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ بالأَيْـدي والْجَرِيد وَالنِّعَال قَالَ: فَبَلَغَنَا أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِمْ (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُـوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا)(٤). رواه مسلم في الجهاد(٥).

---

(١) ابن سلول وعَرَضْتَ عليه الإسلام لأسلم .

(٢) السبخة : الأرض التي لا تنبت لملوحة أرضها .

(٣) أي لا تقربني.

(٤) من الآية ٩ من سورة الحجرات. وورد في سبب نزول هذه الآيـة أن الـنبي ﷺ ذهب لعيادة سعد بن عبادة في بني الحارث فمر في طريقه على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين واليهود فسلم عليهم النبي ﷺ ونزل عن دابتـه وقـرأ عليهم القرآن وكان في المجلس عبد الله بن أبي بن سلول فرد على الـنبي ﷺ رداً غير حسن فرد عليه عبد الله بن رواحة وانتصر للنبي ﷺ فثار المجلـس فاسـتب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا أن يقتتلوا فسكتهم النبي ﷺ ثم ذهـب لعيادة سعد بن عبادة فترلت الآية.

وفي الحديث بيان ما كان عليه النبي ﷺ من الحلم والصفح والصبر علـى الأذى في الله تعالى ودوام الدعوة إلى الله تعالى وتألف قلوب من يدعوهم إلى الإسلام .

(٥) صحيح مسلم– كتاب الجهاد رقم ١٧٩٩. التاج الجامع للأصول ج٤ص ٢٤٠.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه رباعيات الخطيب في قصيدة حديقة الأخيار في مدح المختار ﷺ:

رزقت سماحة ورزقت دينا قويماً عادلاً سمحاً مبيناً

فلو أن الخلائق أجمعينا به أخذوا – لكان به النجاء

زرعت بذوره شيئاً فشيئاً فمد على الورى ظلا وفيئا

وباكَرَ ذو الحَصَاةِ إليه جيئاً فأدركه بداريه الهناء [1]

سمعت وذقت فيه أذىً بليغاً وكنت لجهلهم بك مستسيغاً

ولو عرفوك لاحترموا نبوغاً به عَطَفَتْ على الأرض السماء

(١) الحصاة: العقل.

٢٤٨ - قصة وافد عاد

عن الحارث بْنِ يزيدَ البَكْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١] فَذَكَرْتُ عِنْدَهُ وَافِدَ عَادٍ فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِثْلَهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا وَافِدُ عَادٍ[٢]؟ : قُلْتُ: عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتَ[٣] إِنَّ عَادًا لَمَّا أَقْحَطَتْ بَعَثَتْ قَيْلا فَنَزَلَ عَلَى بَكْرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ[٤] فَسَقَاهُ الْخَمْرَ[٥] وَغَنَّتْهُ الْجَرَادَتَانِ[٦]. ثُمَّ خَرَجَ يُرِيدُ جِبَالَ مَهْرَةَ[٧] فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ آتِكَ لِمَرِيضٍ فَأُدَاوِيَهُ وَلا لأَسِيرٍ فَأُفَادِيَهُ فَاسْقِ عَبْدَكَ[٨] مَا كُنْتَ

---

(١) وفي رواية: قدمت على رسول الله ﷺ أشكو العلاء الحضرمي (وكان واليا عليهم) فدخلت المسجد فإذا هو غاص بالناس وفيه رايات سود تخفق وبلال متقل بسيفه بين يدي رسول الله ﷺ قلت: ما شأن الناس؟ قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص في جيش.

(٢) النبي ﷺ يعرفه ولكنه يريد أن يسمع عنه .

(٣) على الخبير بها سقطت : أي على العارف بقصة وافد عاد وقعت، وهو مثل سائر للعرب ، أي وفقت للمُلِمِّ العالم به .

(٤) اسم رجل منهم كان في ذلك الزمان يستسقي لهم .

(٥) بمكة ومكث شهراً عنده .

(٦) وغنته الجرادتان : هما جاريتان مشهورتان بالغناء الحسن .

قال الجزري: هما مغنيتان كانتا بمكة في الزمن الأول مشهورتان بحسن الصوت والغناء .

(٧) يريد جبال مهرة : ليقف عليها ويطلب من الله السقيا ، ومهرة حي من العرب.

(٨) يريد نفسه مع قومه.

مُسْقِيَهُ وَاسْقِ مَعَهُ بَكْرَ بْنَ مُعَاوِيَةَ[١] فَرُفِعَ لَهُ سَحَابَاتٌ[٢] فَقِيلَ لَهُ اخْتَرْ إِحْدَاهُنَّ فَاخْتَارَ السَّوْدَاءَ مِنْهُنَّ فَقِيلَ لَهُ خُذْهَا رَمَادًا رِمْدَدًا[٣] لا تَذَرُ مِنْ عَادٍ أَحَدًا وَقَالَ: أَنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ عَلَيْهِمْ مِنَ الرِّيحِ إِلا قَدْرُ هَذِهِ الْحَلْقَةِ يَعْنِي حَلْقَةَ الْخَاتَمِ ثُمَّ قَرَأَ (إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ)[٤].

رواه الترمذي[٥].

---

(١) يشكر حسن ضيافته له.

(٢) فرفع له سحابات : أي قطعات من السحاب ظهرت له وسمع منها من يقول: اختر إحداهن.

(٣) رماداً رمددا : أي متناهية في الشدة والحرارة . قال ابن الأثير: الرمدد بالكسر: المتناهي في الاحتراق ، كما يقال : ليل أليل ويوم أيوم إذا أرادوا المبالغة .

(٤) آية رقم ٤١، ٤٢ من سورة الذاريات وتفسيرها : وفي عاد أي وفي هلاكهم آية على وحدانيته سبحانه وتعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ التي لا خير فيها ؛ لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر وهي الدبور ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ أي البالي المتفتت أو الرماد والتراب المدقوق. فوافق طلب سقياهم وهلاكهم وإحقاق العذاب عليهم بتكذيب نبيهم هود عليه السلام.

(٥) سنن الترمذي كتاب التفسير – حديث رقم ٣٢٧٣ .

ما يؤخذ من الحديث:

- للرعية إرسال أحدهم ليشكو الوالي إذا أحسوا بظلمه إلى من ولاّه.
- الاستعاذة من التشبيه بمن جرَّ العذاب على قومه. وجواز الاسترشاد بالأمثال في سياق الحديث.
- للعالم أن يستوثق من المتكلم عند ادعائه معرفة أمر من الأمور وليَعْلَمَهُ من لم يكن يعلم.
- الآيات التي يرسلها الله إلى من كذب الرسل لعلهم يرجعون – كمنع المطر والقحط والجدب.

- العرب مع كفرهم وعنادهم ومخالفتهم للرسل كانوا يعلمـون أن الله هـو الذي بيده المنع والعطاء والسقيا والشفاء والفداء.
- ما طبع عليه العرب من إكرام من وفد إليهم وكان الوافدون يدعون الله لهم أن يكرمهم وكانوا يعرفون أماكن الدعاء.
- الترف واللهو الذي كانوا عليه من شرب الخمور والاستماع إلى المغنيات.
- الطمع وسوء الاختيار وعدم التوفيق لمن أراد الله أن يعذبهم فكان سـبباً في هلاك قومه.
- رحمة الله بأهل الأرض فلم يرسل على عاد إلاّ قدر يسير يكفي لإهلاكهـم وحدهم.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه روضـات الخطيـب فـي قصيدته عيد الأعياد عن علمه وكتابه: عن القرآن:

ومن يتبعه يكن ملاكاً طاهراً	من يجتنبـه يكـن مـن المـراد
كم قصة قد ساقها المولى بـه	عظة كما قد سـاق قصـة عـاد
ومرغب ومزهـد ومبشـر	ومحـذر بالوعـد والإيعـاد
ينهى عن العاد القبيح ودائما	يـدعو إلى خـير وأجمـل عـاد
ليثوب من غابو ويثبت شاهد	ويعود للقصـد القـويم العـاد

٢٤٩ - أَمْرُ النبي ﷺ أصحابَهُ بعدم البحث في القدر[١]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَنَازَعُ فِي الْقَدَرِ[٢] فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْنَتَيْهِ الرُّمَّانُ[٣] فَقَالَ أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الأَمْرِ[٤] عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ[٥]

---

(١) يقول شيخنا الخطيب في كتابه الجنة في شرح عقيدة أهل الجنة: القضاء والقدر أُمرنا بالإيمان بهما ونهينا عن الخوض في مباحثهما ولكن لا بد من تعريفهما .
والمنقول عن الماتريدية في تفسيرهما أن القدر هو تحديد الله أزلاً كل مخلوق بحده الذي يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر إلى غير ذلك، أي علمه تعالى أزلاً صفات المخلوقات فيرجع إلى صفة العلم.
وأن القضاء : إيجاد الله تعالى الأشياء على وفق علمه تعالى وتقديره لها في الأزل فقد تبين أن القدر والقضاء راجعان إلى تعلق العلم الإلهي الأزلي بالأشياء وتعلق القدرة الإلهية بها.

(٢) ونحن نتنازع في القدر : أي في شأنه، فيقول بعضنا : إذا كان الكل بالقدر فلم الثواب والعقاب؟ كما قالت المعتزلة ، والآخر يقول : فما الحكمة في تقدير بعضٍ للجنة وبعض للنار؟ فيقول الآخر : لأن لهم فيه نوع اختيار كسبي ، فيقول الآخر من أوجد ذلك الاختيار والكسب وأقدرهم عليه ؟ وما أشبه ذلك.

(٣) كأنما فقئ في وجنتيه الرمان : أي كأنما شق أو عصر في خديه حب الرمان ، وهو كناية عن مزيد حمرةِ وجهه المنبئة عن مزيد غضبه وإنما غضب لأن القدر سر من أسرار الله تعالى ، وطلب سره منهي عنه ، ولأن من يبحث فيه لا يأمن من أن يصير قدرياً أو جبرياً والعباد مأمورون بقبول ما أمرهم الشرع من غير أن يطلبوا سرَّ ما لا يجوز طلب سره .

(٤) هذا يدل على أن غضب الله وإهلاكهم كان من غير إمهال ففيه زيادةُ وعيد .

(٥) عزمت عليكم : أي أقسمت وأوجبت عليكم ، أو أمرتكم أمراً مؤكداً .

أَلا تَتَنَازَعُوا فِيهِ[١]. رواه الترمذي[٢].

(١) أن لا تنازعوا فيه أي القدر: لا تبحثوا فيه فإنه من أسرار الله المكنونة .

(٢) سنن الترمذي كتاب القدر حديث رقم ٢١٣٣ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في عقيدته:

ولا يرى غير الذي قدره في ملكه فجل من دبره

ويقول في شرحها:

وليس المرء مجبوراً ولكن له في فعله نوع اختيار

يفكر في الذي يبغي ويمضي إلى الأمر الذي أمضاه باري

ويقول في نهاية التصوف:

مفتاحها الإيمان بالديان ونعته الوارد في القرآن

وكتبه ورسله وبالقدر والبعث والأملاك عز من قدر

وإتماماً للفائدة نذكر ما قاله شيخنا الخطيب ﷺ في كتابه (الجنة في شرح عقيدة أهل الجنة). عند شرحه لهذا البيت: القدر: ما يقع من العبد مما قدره الله أزلاً خيره وشره منه — بخلقه وإرادته — ما شاء كان وما لا يشاء لا يكون.

تنبيه : الخالق لأفعال العباد هو الله تعالى لكن للعبد كسباً في أفعاله الاختيارية هو مناط الثواب والعقاب وبه صح نسبة الفعل إلى العبد في قولنا فعله. قال الإمام أبو حنيفة ﷺ في الفقه الأكبر ما نصه: وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله خالقه. قال شارحه: يعني أن أصل الفعل بقدرة الله تعالى، والاتصاف بكونه طاعة أو معصية بقدرة العبد. وبيان آخر: أن العبد يوجه إرادته إلى الفعل ويعلق قدرته به فيكون ذلك منه سبباً لاتصافه به كبقية الأسباب في جانب مسبباتها وهذا من العبد هو الكسب، والله تعالى عند ذلك يوجده بقدرته وهذا هو الخلق . وهذا هو المذهب المتوسط بين الإفراط والتفريط، فلا نقول بأنه لا دخل للعبد في جميع أفعاله ، ولا نقول بأنه لا دخل لله في أفعال العباد الاختيارية بل نقول: إن الله تعالى خالق أفعالهم وهم=

=يكتسبونها وعلى كسبهم يثابون أو يعاقبون.

لا يصح الاحتجاج بالقدر: واعلم أنه وإن وجب الإيمان بالقدر لا يجوز الاحتجاج به قبل الوقوع توصُّلاً إلى الوقوع بأن يقول الشخص قدر الله عليَّ كذا، وغرضه بذلك التوصل إلى الوقوع فيه، وللشرع الحجة عليه في ذلك؛ إذ يقال له : وما أدراك أنه قدر عليك حتى تقدم عليه ؟ - فإقدامك لشهوتك وجراءتك فوجبت معاقبتك.

ولا يعد الوقوع تخلصا من الحد الشرعي بأن زنا وقال: قدره الله عليه. فيقال له: أقدمت ولا علم لك بما قدر عليك فإقدامك لشهوتك فوجبت معاقبتك . والله أعلم.

قال شيخنا الإمام الشيخ سلامة العزامي: وقد أوجز النبي ﷺ حيث قال: " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف – وفي كلٍّ خير – احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإذا فاتك شيء فقل: قدر الله وما شاء فعل، ولا تقل لو فإن لو تفتح عمل الشيطان". أخرجه مسلم وغيره. والمراد أن المؤمن القوي والضعيف اشتركا في أعظم الخيرات وهو الإيمان ولكن المؤمن القوي الذي يأخذ أموره بحزم وعزم فيعد أسبابها ويسعى في تنفيذها مستعيناً بالله حتى إذا عجز دفع وسوسة الشيطان بقوله: هذا ما قدره الله وما شاء فعل – أحب إلى الله من المؤمن الضعيف الذي يتهاون في أموره ولا يأخذ في أسبابها اتكالاً على ما قدره الله ، ولمَّا قيل له ﷺ: أنتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: " اعملوا فكل ميسر لما خلق له " ورضي الله عن الصحابة الكرام ما أدق فهمهم فإنهم حينما سمعوا هذا قال قائلهم: ما كنا إذ سمعنا هذا الحديث بأشد اجتهاداً منا قبل أن نسمعه.

وقد أوضح ﷺ هذا كل الإيضاح حين قيل له: يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها ورقىً نسترقي بها أترد من قدر الله شيئاً ، فقال: " هي من قدر الله " فأنعم بهذا الجواب الذي يحفز الهمم إلى العمل النافع ويهيب بالناس إلى اتخاذ الأسباب ، وقد أمر الله رسوله ﷺ بالدعوة إليه وكم لقى من إيذاء المشركين- فلم يهن عزمه عن أن يعد العدة لرد عداوتهم اتكالاً على القدر – بل قاوم وبذل وسعه لينحي=

=المشركين عن طريقه حتى نصره الله . وهذا من قدر الله.

فعلى العاقل أن يعلم أن القدر سابق وأن ما كتب له أو عليه غير معلوم لــه وأن أسباب الخير والشر في الدنيا والآخرة قد أرشده الله إليها على ألسنة الرســل – عليهم السلام– وما وضع في العقول، وأنه لا يأتي الخير إلاّ بســببه ولا يحـدث الشر إلاّ من طريقه – فليشمر كل التشمير للسعي في طريق الخير التي أمر بهــا ، وليبعد كل البعد عن سبل الشر التي نُهى عنها معتمداً في إنجاح مساعيه علــى الله تعالى . وإذا وفق لطاعة تيقن أن الله وفقه لفعلها فالحمد لــه ، ولا يحبطهــا بعُجْب أو مَنٍّ تثيرهما رعونات النفس ، وإذا وقع في معصية فليسرع بالمتاب إلى التواب ولا يحتج لنفسه بما سبق من الأقدار.

فإن حسن الاعتذار سبيل الأخيار من النبيين والصديقين وأهل البصائر أجمعين.

وانظر لآدم أبي البشر عليه السلام حين قال الله له ولزوجه: ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَــن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴾ الأعراف/ ٢٢، هل احتجا لأنفسهما ؟(حاشاهما) . بل قالا: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾ الأعراف/ ٢٣.

وقال رسول الله نوح عليه السلام : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ نــوح/ ٢٨.

وقال الخليل عليه السلام: ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَــوْمَ الــدِّينِ ﴾ الشعراء/ ٨٢، وقال الكليم عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ القصص/ ١٦. وصح عن سيد المرسلين ﷺ : " يا أيها الناس استغفروا الله وتوبوا إليه فوالله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة " وفي رواية: " أكثــر من سبعين مرة " .

وَمَنْ الناسُ إلا هؤلاء السادة؟ وفيهم للمؤمن خير أسوة.

أما التمسح بالقدر فهو طريق إبليس اللعين. ألا تراه قــال: ﴿ قَــالَ رَبِّ بِمَــا أَغْوَيْتَنِي ﴾ الحجر/ ٣٩ .

فإن قلت أليس قد احتج آدم بالقدر حين لامه الكليم كمــا رواه البخــاري ؟

قلت: بلى ولكن في دار التشريف وبعد صدق التوبة.

فإن قلت: ألا جعل الكل موفقين؟ قلت: ذلك فضل الله يؤتيه مــن يشــاء ، =

=وإذا قيل في المخلوقين : ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ التوبة/ ٩١. ألا يكون ذلك في أحسن الخالقين ورب العالمين ؟ وإن لله في أقضيته حِكَماً لو اطلعت عليها لاسترحت إليها وعلمت أن الحق للحق فتب لربك واحذر ما يغضبه واتهم عقلك فيما يحاوله ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الأنعام / ١٤٩ . وقف متأملاً قول رب العالمين: ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ الأنبياء/ ٢٣. تكن من الراشدين. والحمد لله رب العالمين.

٢٥٠ - إخبار النبي ﷺ عن بعض حقائق السموات والأرض

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَبِيُّ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ وَأَصْحَابُهُ إِذْ أَتَى عَلَيْهِمْ سَحَابٌ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: (هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟) قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (هَذَا الْعَنَانُ[١] هَذه رَوَايَا الأَرْضِ[٢] يَسُوقُهُ[٣] اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى قَوْمٍ لا يَشْكُرُونَهُ وَلا يَدْعُونَهُ) قَالَ: (هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَكُمْ؟) قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (فَإِنَّهَا الرَّقِيعُ[٤] سَقْفٌ مَحْفُوظٌ وَمَوْجٌ مَكْفُوفٌ[٥]) . قَالَ: (هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا؟) قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: (بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا مَسِيرَةُ خَمْسمائَة سَنَة) [٦]. ثم قَالَ: (هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلكَ؟) قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (فَإِنَّ فَوْقَ ذَلكَ سَمَاءَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسمائَة سَنَة) حَتَّى عَدَّد سَبْعَ سَمَاوَات مَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ . ثم قَالَ: (هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلكَ؟) قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: (فَإِنَّ فَوْقَ ذَلكَ الْعَرْشَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاء بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءَيْنِ) . ثم قَالَ: (هَلْ تَدْرُونَ مَا الَّذي تَحْتَكُمْ؟) قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (فَإِنَّهَا الأَرْضُ.) ثم قَالَ: (هَلْ تَدْرُونَ مَا

---

(١) العنان كالسحاب وزناً ومعنى .

(٢) جمع راوية وهي ما تروى الأرض بالماء .

قال ابن الأثير : الروايا من الإبل والحوامل للماء واحدها راوية فشبهها بها .

(٣) يسوقه الله أي العنان إلى قوم لا يدعونه أي لا يعبدونه بل يكفرونه .

(٤) الرقيع : اسم لسماء الدنيا وقيل لكل سماء والجمع أرقعة .

(٥) موج مكفوف : أي ممنوع من الاسترسال حفظها الله من أن تقع على الأرض وهي معلقة بلا أعمدة كالموج المكفوف جاء في التاج : سقف محفوظ : مصون، ومكفوف: ممنوع من البعثرة والتلف ولون السماء كلون موج البحار.

(٦) بالسير المعتاد بالرواحل وإلا فتقطعها الملائكة في لحظه .

الَّذي تَحْتَ ذَلكَ؟) قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (فَإِنَّ تَحْتَهَا الأَرضَ الأَخْرَى بَيْنَهُمَا مَسيرَةُ خَمْسمائَة سَنَة[١]) حَتَّى عَدَّدَ سَبْعَ أَرَضينَ بَيْنَ كُلِّ أَرْضَيْنِ مَسيرَةُ خَمْسمائَة سَنَة، ثُمَّ قَالَ: (وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّد بيَده لَوْ أَنَّكُمْ دَلَّيْتُمْ رَجُلاً بحَبْلٍ إِلَى الأَرْضِ السُّفْلَى لَهَبَطَ عَلَى اللَّهِ[٢]) ثُمَّ قَرَأَ (هُوَ الأَوَّلُ وَالآخرُ وَالظَّاهرُ وَالْبَاطنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [٣]. رواه الترمذي بسند غريب[٤].

---

(١) صريح في أن السموات سبع طبقات منفصلات بعضهن فوق بعض ، وكذا الأراضون ولا بعد ولا غرابة فقدرة الله صالحة لكل شيء .

(٢) أي على علمه وقدرته .

(٣) الآية ٣ من سورة الحديد. هو الأول قبل كل شيء بلا بداية ، والآخر بعد كل شيء بلا نهاية ، والظاهر بآثاره ، والباطن عن إدراك الحواس . وقيل الظاهر فليس فوقه شيء ، والباطن فليس دون شيء .

(٤) سنن الترمذي – كتاب التفسير – سورة الحديد رقم ٣٢٩٨ ، التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٢٥٣ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه رباعيات الخطيب في نشيد الإسلام:

قل لقوم لم يقولوا بالإله	ذلك الكون جميعا من براه
نفسه أوجد أو من يا تراه	إنه الله فهلاَّ تعقلون
من يقل ذا الكون بالصدفة كانا	فهو كالأنعام بل أدنى مكانا
مدهش ما زال حسنا وافتتانا	أكذا الصدفة يا هذا تكون؟
ليس والله مع الله سواه	إنه الحق ومَينٌ ما عداه
ما استقام الكون لو فيه سواه	فتعالى الله عما يشركون
أي شيء فيه والله دليل	إنه القيوم والحي الجليل
واحد حق تعالى عن مثيل	ما له زوج فمن أين البنون

وعن الْعَبَّاسِ ﷺ قال: كنتُ جَالسًا فِي الْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ[١] وَرَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ إِذْ مَرَّتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ فَنَظَرُوا إِلَيْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هَلْ تَدْرُونَ مَا اسْمُ هَذه؟). قَالُوا: نَعَمْ هَـذَا السَّـحَابُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَالْمُزْنُ). قَالُوا: وَالْمُزْنُ. قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَالْعَنَانُ). قَالُوا: وَالْعَنَانُ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّه صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟) فَقَالُوا: لا وَاللَّه مَا نَدْرِي. قَالَ: (إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا وَاحِدَةٌ أو اثْنَتَانِ أَوْ ثَلاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، وَالسَّـمَاءُ الَّتِي فَوْقَهَا كَذَلكَ) حَتَّى عَدَّهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ كَذَلكَ[٢]. ثُمَّ قَالَ: (فَوْقَ السَّـمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَعْلاهُ وَأَسْفَلِه كَمَا من السَّمَاءِ إِلَى السَّمَاءِ وَفَوْقَ ذَلـكَ ثَمَانِيَـةُ أَوْعَالٍ[٣] بَيْنَ أَظْلافِهِنَّ وَرُكَبِهِنَّ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ فَوْقَ ظُهُورِهِنَّ الْعَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ مَا بَيْنَ سَـمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ وَاللَّهُ فَوْقَ ذَلكَ[٤]).

رواه الترمذي وأبو داود بسند حسن[٥].

---

(١) البطحاء : المكان الواسع . والعصابة : الجماعة .

(٢) المراد: بُعد المسافة فلا منافي في ما تقدم من أن البعد خمسمائة عام بين كل سماء وأخرى. فتقول معي خمس جنيهات ولا ينافي ذلك أن معك مائة، على أنه ﷺ قال في الأولى" مسيرة " ولم يحدد في الثانية الوسيلة.

(٣) أوعال أي ملائكة في صورة الأوعال جمع وعل ككتف وهـو تـيس الجبـل، والأظلاف : جمع ظلف وهو للحيوان كالظفر للإنسان والركب جمـع ركبـة وهي مفصل الساق والفخذ .

(٤) فالله تعالى بعلمه وقدرته فوق خلقه كلهم؛ الملك والملكوت ، قال تعالى : ﴿والله من ورائهم محيط﴾.

(٥) سنن الترمذي— كتاب التفسير رقم ٣٣٢، سنن أبو داود—كتاب السنة رقم ٤٧٢٣.

٢٥١ -عبد الله بن مسعود وأم يعقوب - رضي الله عنهما-

قَالَ عَبْدُ اللَّه ﷺ: لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَات وَالْمُتَوَشِّمَات (١) والنَّامصَات وَالْمُتَنَمِّصَاتِ(٢) وَالْمُتَفَلِّجَاتِ(٣) لِلْحُسْنِ ؛ الْمُغيِّرات خَلْقَ الله - فَبَلَغَ ذَلِكَ

(١) لفظ أبي داود : " المستوشمة من غير داء " أي مرض فإن كان لداء لا دواء له إلا الوشم جاز للضرورة . وفي رواية: " لعن الله الواشمات والمستوشمات".

(٢) النامصات : مزيلات الشعر عن الوجه بالمنماص أي الملقاط. والمتنمصة: التي تطلب النماص. ويقال إن النماص يختص بإزالة شعر الحاجبين لترفيعهما أو تسويتهما. قال الطبري: لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التي خلقها الله عليها بزيادة أو نقص التماس الحسن لا للزوج ولا لغيره ويستثنى من ذلك ما يحصل به الضرر والأذية كمن يكون لها سن زائدة أو طويلة تعيقها في الأكل أو أصبع زائدة تؤذيها أو تؤلمها فيجوز ذلك وكذلك للرجل.

وقال النووي: ويستثنى من النماص ما إذا نبت للمرأة لحية أو شارب أو عنفقة فلا يحرم عليها إزالتها بل يستحب.

وقد أخرج الطبري من طريق أبي إسحاق عن امرأته أنها دخلت على عائشة وكانت شابة يعجبها الجمال فقالت: المرأة تحف جبينها لزوجها فقالت: أميطي عنك الأذى ما استطعت.

(٣) المتفلجات : المرققات الأسنان بالمبرد رغبة في الجمال . والمراد مفلجات الأسنان بأن تبرد ما بين أسنانها الثنايا والرباعية وهو من الفلج وهي فرجة بين الثنايا والرباعية ، وتفعل ذلك العجوز ومن قاربتها في السن إظهاراً للصغر وحسن الأسنان ؛ لأن هذه الفرجة اللطيفة بين الأسنان تكون للبنات الصغار ، فإذا عجزت المرأة كبرت سنها وتوحشت فتبردها بالمبرد لتصير لطيفة حسنة المنظر وتوهم كونها صغيرة .

امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَد يُقَال لها: أُمُّ يَعْقُوبَ فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إنه بَلَغَنِي عنك أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ فَقَالَ: وَمَا لِي لا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ[١] رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ وَمَنْ هُوَ فِي كِتَاب اللَّه، فَقَالَتْ: لقد قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوحَيْنِ فَمَا وَجَدْتُ فيه ما تَقُولُ. قَالَ: لَئِنْ كُنْت قَرَأْتيه لقد وَجَدْتيه، أَمَا قَرَأْتِ (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)[٢] قَالَتْ: بَلَى. قَالَ: فَإِنَّه قد نَهَى عَنْهُ. قَالَتْ: فَإِنِي أَرَى أَهْلَكَ[٣] يَفْعَلُونَه .قَالَ: فاذْهَبِي فَانْظُرِي. فذهبت فَنَظَرَتْ فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا[٤] شَيْئًا. فقَالَ: لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا [٥].

روا‌ه الخمسة إلاّ الترمذي واللفظ للبخاري[٦].

---

(١) ابن مسعود سمعه من رسول الله ﷺ .

(٢) سورة الحشر ٧ .

(٣) أهلك : زوجك وهي زينب بنت عبد الله الثقفية.

(٤) فلم تر شيئاً: أي من الذي ظنت أن زوج عبد الله بن مسعود تفعله. وقيل: كانت المرأة رأت ذلك حقيقة . ثم أنكر عبد الله بن مسعود على زوجته هذا الفعل فامتنعت عن ذلك. فلما دخلت المرأة لم تر منها ما كانت رأته من قبل .

(٥) ما جامعتها: ربما يكون المراد به الوطء أو الاجتماع وهو أبلغ.

(٦) صحيح البخاري رقم ٤٨٨٦ ، صحيح مسلم – اللباس ٢١٢٥ ، أبو داود رقم ٤١٦٩ ، النسائي ج ٨ ص ١٨٨ ، التاج ج ٣ ص ١٧٦ .

ما يؤخذ من الحديث:

- المعين على المعصية يشارك فيها.
- جواز لعن من اتصف بصفة قد لعن رسول الله ﷺ من اتصف بها .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه حكمة الرجز من قصيدة النساء:

الغاويـــــات الغاويـــــهْ	مـــــآلهن الهاويـــــهْ[(١)]
إذا أرادت تخـــــرج	لوجههـــــا تبـــــهرج
وكـــم لهـــا مـــن عـــدة	لحســـــنها معـــــدَّة
تكـــاد كـــلّ وقتـــها	تنفقـــــه في سمتـــــها[(٢)]
ولا تـــرى مـــن جهلـــها	تجمـــــلاً لبعلـــــها[(٣)]
ولـــو بـــدت في النُّـــزْلِ	كمـــا بـــدت في السُّـــبل[(٤)]
لأ شـــرق القلـــب بهـــا	ودام فيـــــه حبـــــها

(١) الهاوية: النار (٢) سمتها: حسن هيئتها.

(٣) بعلها: زوجها. (٤) النزل: المنزل . السبل: الطرق.

٢٥٢ – حاطب بن أبي بلتعة وكتابه لأهل مكة

عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب ﷺ قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ: (انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ[١] فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً[٢] مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا) فَذَهَبْنَا تَعَادَى[٣] بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ. قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ. فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا[٤]. فَأَتَيْنَا بِهَا النبيَّ ﷺ فَإِذَا فيه: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِمَّنْ بِمَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ﷺ: (مَا هَذَا يَا حَاطِبُ؟) قَالَ: لا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ. إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مِنْ قُرَيْشٍ[٥]. وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِمَكَّةَ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي النَّسَبُ فيهم أَنْ أَصطنعَ إليهم يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا وَلا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (إنه قد صَدَقَكم) فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَضْرِبُ عُنُقَهُ[٦] فَقَال:

---

(١) روضة خاخ : موضع بين مكة والمدينة .

(٢) الظعينة : المرأة وأصله الهودج فيه امرأة ، ثم قيل للمرأة وحدها وللهودج وحده. واسم المرأة سارة.

(٣) تعادى : تتسارع وتتسابق من العَدْوِ .

(٤) شعرها المضفور، والعقاص جمع عقيصة أي من ذوائبها المضفورة .

(٥) بالحلف والولاء لا النسب. قال السهيلي: كان حاطب حليفاً لعبد الله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبد العزى. يحمون بها من الحماية أي يحفظون بتلك القرابات.

(٦) إنما قال ذلك عمر مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض من ينسب إلى النفاق وظن أن من خالف ما أمره به رسول الله ﷺ استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن في قتله وأطلق عليه منافقا لكونه أبطن خلاف ما أظهر ، وعُذْرُ حاطب ما ذكره فإنه صنع ذلك متأولاً أن لا ضرر فيه .

(إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ[١] اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ[٢]). وَنَزَلَتْ فيه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ [٣].وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ[٤]. يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)[٥]. رواه الأربعة [٦].

---

(١) الترجي بلعل راجع إلى عمر ، وإلا فهو محقق عند النبي ﷺ . قال العلماء: إن الترجي في كلام الله ورسوله للوقوع .

(٢) قال القرطبي: هذا الخطاب قد تضمن أن هؤلاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السابقة وتأهلوا أن تغفر لهم الذنوب اللاحقة إن وقعت منهم ، وليس المراد أنهم نجزت لهم في ذلك الوقت مغفرة الذنوب اللاحقة بل لهم صلاحية أن يغفر لهم ما عساه أن يقع ولا يلزم من وجود الصلاحية لشيء وجود ذلك الشيء. قال ابن حجر: وقد أظهر الله صدق رسوله في كل من أخبر عنه بشيء من ذلك فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة إلى أن فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر إلى التوبة.

(٣) أي بأسباب المحبة ، وقيل معناه تلقون إليهم أخبار النبي وسره بالمودة التي بينكم وبينهم .

(٤) وحالهم أنهم كفروا بما جاءكم من الحق يعني القرآن .

(٥) آية رقم ١ من سورة الممتحنة .

(٦) صحيح البخاري — كتاب التفسير — رقم ٤٨٩٠، صحيح مسلم — كتاب فضائل الصحابة رقم — ٢٤٩٤ ، سنن الترمذي — كتاب التفسير رقم ٣٣٠٥، التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٢٥٩ .

ما يؤخذ من الحديث:

- يقين الصحابة بصدق ما أخبرهم به رسول الله ﷺ وذلك حينما أنكرت المرأة أن معها كتاب فشددوا عليها القول فأخرجته.
- التكتم والسرية التامة التي كانت تحاط بها الغزوات ليكون في ذلك مفاجأة للعدو فيذعنوا بلا حرب ولا دماء.
- قد يصدر من المؤمن شيئاً يعاتب عليه ومع ذلك لا يقدح في إيمانه.
- جواز قتل الجاسوس ولو كان مسلماً وهو قول مالك ومن وافقه، ووجه الدلالة أنه ﷺ أقر عمر على إرادة قتله لولا المانع.
- الفضيلة التي منحها الله أهل بدر.
- المعجزة الباهرة لرسول الله ﷺ حيث أعلمه الله بما فعل حاطب والمكان الذي توجد فيه المرأة في ذلك الحين.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه بشرى العاشقين (إن من الشعر لحكمة).

تُهِمتَ إذا ما جئتَ موضع تُهْمَةٍ	ولَوْ لَكَ عذر فاحذر التـهمات
وما جئته في خلوة شَمَّهُ الْـوَرَى	أكان سهاكا أم شَذَى النسمات
وحاذر خُطَى الشيطانِ فَهْوَ برحمة	يَغُرُّكَ حـتى هتك الحرمـات
فَتُغْضِبَ رباً مَـا أَشَـدَّ عقابَـهُ	لِعاصٍ، وبـالأبرارِ ذو رَحمـات

٢٥٣ – من نفاق عبد الله بن أُبَيٍّ

عن جابرٍ ﷺ قال: كُنَّا فِي غَزَاة فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلا مِنَ الأنْصَارِ[1] فَقَالَ الأنْصَارِيُّ يَاللأنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَاللْمُهَاجِرِينَ[2]. فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟) قَالُوا: يا رَسولَ الله كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأنْصَارِ فَقَالَ: (دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ[3]). فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ: فَعَلُوهَا[4]؟. أما وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْهَا الأذَلَّ. فبلغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقام عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (دَعْهُ لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ[5]).

---

(١) كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار: ضربه بيده على إليته، وفي القاموس: كسعه ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه. والرجل المهاجري هو جهجاه بن قيس، ويقال ابن سعيد الغفاري وكان مع عمر بن الخطاب يقود له فرسه، والرجل الأنصاري هو سنان بن وبرة الجهني حليف الأنصار.

(٢) يا للمهاجرين: للاستغاثة أي أغيثوني، وكذا قول الآخر يا للأنصار.

(٣) دعوها: أي اتركوا هذه المقالة وهي دعوى الجاهلية فإنها منتنة أي قبيحة.

(٤) فعلوها: قال الحافظ هو استفهام بحذف الأداة أي أَفَعَلُوهَا؟ أي الأثرة: شركناهم فيما نحن فيه فأرادوا الاستبداد به علينا، وفي مرسل قتادة فقال رجل منهم عظيم النفاق، وما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك.

(٥) قال صاحب التاج: فلما حصل ما حصل ونزل القرآن في المنافقين كان لعبد الله ولد من خيار الأصحاب فتقلد سلاحه وجاء بأبيه وأوقفه أمام النبي ﷺ وقال له: والله لا تبرح من مكانك حتى تقرّ أنك الذليل وأن رسول الله ﷺ هو العزيز فاعترف.

رواه الشيخان والترمذي [(١)].

(١) صحيح البخاري – كتاب التفسير رقم ٤٩٠٥ ، صحيح مسلم – كتاب صفات المنافقين رقم ٢٧٥٥ ، والبر والصلة رقم ٢٥٨٤ ، سنن الترمذي كتاب التفسير رقم ٣٣١٢ ، ورقم ٣٣١٥ ، التاج الجامع للأصول ص ٢٦٣ .

ما يؤخذ من الحديث:

- الابتعاد عن أسباب بث الفرقة بين صفوف المؤمنين والتحلي بالصبر والعفو.
- قوة عمر بن الخطاب ﷺ في دين الله وبغضه للمنافقين وإرادة قتل رأسهم.
- شفقة رسول الله ﷺ على جميع الناس وتجنب الأسباب التي تنفرهم من الدخول في الإسلام.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه رباعيات الخطيب في قصيدته الدرة العصماء في مدح إمام الأنبياء ﷺ :

ظَهَرْتَ وكم رأى منك الأنام ... خوارق بعضها الصحب الكرام

أتيتهمو وهم شتى خصام ... فألف منهم العقد النظيم

علوٌّ في الحياة وفي الممات ... لمن بك آمنوا خير الهداة

ومن ضلوا سبيلك في الحياة ... لهم خزيٌ وفي الأخرى جحيم

غزوتهمو بمعجزة الكتاب ... وبالأسد الغضافرة الصحاب

وكم منهم لقيت من الصعاب ... وعنهم لا تكل ولا تخيم[(١)]

(١) لا تكل: لا تضعف. لا تخيم: لا تجبن .

٢٥٤ - من نفاق عبد الله بن أُبَيٍّ أيضاً

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَمِّي[١] فَسَمِعْتُ عَبْدَاللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولَ يَقُولُ: لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَقَالَ أَيْضًا: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ[٢]، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي فَذَكَرَ عَمِّي لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَبْدِاللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا مَا قَالُوا[٣] فَصَدَّقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَذَّبَنِي فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ فَجَلَسْتُ فِي بَيْتِي[٤] فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ) إِلَى قَوْلِهِ (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ) إِلَى قَوْلِهِ (لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ) فَأَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَهَا عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يازيدُ[٥]).

---

(١) سعد بن عبادة أو عبد الله بن رواحة وكانوا في شدة وضَنْك في غزوة تبوك أو بني المصطلق ، وتشاجر رجل مهاجري مع رجل أنصاري.
قال الحافظ ابن حجر : وقع عند الطبري وابن مرداويه أن المراد بعمه سعد بن عبادة وليس عمه حقيقة وإنما هو سيد قومه الخزرج وعم زيد بن أرقم الحقيقي هو ثابت بن قيس له صحبة ، وعم زوج أمه عبد الله بن رواحة خزرجي أيضاً .

(٢) يريد بالأعز نفسه ، وبالأذل : رسول الله ﷺ .

(٣) أي سألهم رسول الله ﷺ عن ذلك فحلفوا أي عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه ما قالوا ذلك ، وفي رواية فبعث النبي ﷺ إلى عبد الله رأس المنافقين فحلف بالله ما قال من ذلك شيئاً .

(٤) وفي رواية فجلست في البيت مخافة إذا رآني الناس أن يقولوا كذبت .

(٥) فصدق الله المؤمنين وكذب المنافقين بقوله : " ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ

رواه الشيخان والترمذي[1].

كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ * سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾. المنافقون ١ — ٨ .

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير رقم ٤٩٠١. صحيح مسلم كتاب صفات المنافقين رقم ٢٧٧٢ والبر والصلة رقم ٢٥٨٤، سنن الترمذي كتاب التفسير رقم ٣٣١٢ ورقم ٣٣١٥.

ما يؤخذ من الحديث:

- الحقد الدفين الذي كان يخبئه عبد الله بن أبي بن سلول لرسول الله ﷺ وتحريض الأنصار على المهاجرين والكبر الذي كان عليه حتى ظن أنه أرفع الناس مترلة.
- ما طبع عليه المنافقون من الكذب وعدم إذعاهم وتوبتهم لله ولرسوله.
- حب المؤمنين وصدقهم الله ورسوله.
- الهم الشديد الذي يصيب المؤمنين عندما يشعرون أن مترلتهم قد قلّت عند رسول الله ﷺ .
- تصديق الله لرسوله وللمؤمنين ورفعة مترلتهم وأهم هم أهل العزة ووصم المنافقين بأهم لا يفقهون.
- عطف رسول الله ﷺ على صحابته الكرام وإرساله إليهم ليبشرهم بتصديق الله لقولهم.

٢٥٥ – مظاهرة النبي من نسائه

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهما: مَكَثْتُ سَنَةً أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب ﷺ عَنْ آيَة فَمَا أَسْتَطِيعُ ذلك هَيْبَةً لَهُ حَتَّى خَرَجْتُ فِي الحج مَعَهُ – فَلَمَّا رَجَعْنَا وَكُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَدَلَ إِلَى الأَرَاكِ[١] لحَاجَة لَهُ فَوَقَفْتُ لَهُ حَتَّى فَرَغَ ثُمَّ سِرْتُ مَعَهُ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمنينَ مَن اللَّتَان تَظَاهَرَتَا[٢] عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ منْ أَزْوَاجه؟ فَقَال: تِلْكَ حَفْصَةُ وَعَائشَةُ. قُلْتُ: وَاللَّه كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ هَذَا منْ سَنَة فَمَا أَسْتَطِيعُ هَيْبَةً لَكَ. قَالَ: فَلا تَفْعَلْ، مَا ظَنَنْتَ علْمَهُ عنْدي فَاسْأَلْني عنه فَإِنْ كَانَ لِي عِلْمٌ خَبَّرْتُكَ به . ثم قَالَ عُمَرُ ﷺ: وَاللَّه إِنَّا كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّة مَا نَعُدُّ للنِّسَاء أَمْرًا[٣] حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ، قَالَ فَبَيْنَا أَنَا فِي أَمْرٍ أَتَأَمَّرُهُ[٤] إِذْ قَالَت امْرَأَتِي: لَوْ وَضَعْتَ كَذَا وَكَذَا . فَقُلْتُ لَهَا: مَا لَكِ وَلِمَا هَا هُنَا، وَمَا تَكَلُّفُك فِي أَمْرٍ أُرِيدُهُ. فَقَالَتْ لِي: عَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّاب– مَا تُرِيدُ أَنْ تُرَاجَعَ أَنْتَ، وَإِنَّ ابْنَتَكَ[٥] لَتُرَاجِعُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ حَتَّى يَظَلَّ يَوْمَهُ غَضْبَانَ. فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ

---

(١) أي عدل عن الطريق ودخل في شجر الأراك لقضاء الحاجة.

(٢) أي تعاونتا عليه ﷺ غيرة منهما.قال الله تعالى: ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّه فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْه فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائكَةُ بَعْدَ ذَلكَ ظَهِيرٌ ﴾ التحريم/ ٤.

(٣) أمراً في الشورى ، ولفظ الترمذي " كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم " .

(٤) أتأمره : أتفكر فيه .

(٥) أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها .

فَقَالَ لَهَا: يَا بُنَيَّةُ إِنَّكِ لَتُراجعين رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ حَتَّى يَظَلَّ يَوْمَهُ غَضْبَانَ؟ فَقَالَتْ حَفْصَةُ: وَاللَّه إِنَّا لَنُرَاجِعُهُ. فَقُلْتُ: تَعْلَمِينَ أَنِّي أُحَذِّرُك عُقُوبَةَ اللَّه وَغَضَبَ رَسُوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، يَا بُنَيَّةُ لا تَغُرَّنَّك هَذه الَّتي أَعْجَبَهَا حُسْنُهَا وحُبُّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ إِيَّاهَا[١]. – قَالَ: ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ لقَرَابَتي منْهَا فَكَلَّمْتُهَا، فَقَالَتْ: عَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّاب دَخَلْتَ في كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَبْتَغيَ أَنْ تَدْخُلَ بَيْنَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ وَأَزْوَاجه! فَأَخَذَتْني وَاللَّه أَخْذًا[٢]. كَسَرَتْني عَنْ بَعْضِ مَا كُنْتُ أَجِدُ، فَخَرَجْتُ وَكَانَ لي صَاحبٌ منَ الأَنْصَار إِذَا غبْتُ أَتَاني بالْخَبَر، وَإِذَا غَابَ أَتَيْتُه بالْخَبَر[٣] وكُنَّا نَتَخَوَّفُ مَلكًا منْ مُلُوك غَسَّانَ سمعنا أَنَّهُ يُرِيدُ السَّيْرَ إِلَيْنَا وَقَد امْتَلأَتْ صُدُورُنَا منْهُ فَإِذَا صَاحبي الأَنْصَاريُّ يَدُقُّ الْبَابَ فَقَالَ: افْتَحْ افْتَحْ. فَقُلْتُ: جَاءَ الْغَسَّانيُّ[٤]. فَقَالَ: بَلْ أَشَدُّ منْ ذَلكَ. اعْتَزَلَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّم أَزْوَاجَهُ. فَقُلْتُ: رَغمَ أَنْفُ حَفْصَةَ وَعَائشَةَ. فَأَخَذْتُ ثَوْبي فَخَرَجْتُ حَتَّى جئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ في مَشْرُبَة لَهُ يَرْقَى عَلَيْهَا بعَجَلَة[٥]، وَغُلامٌ لرَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ أَسْوَدُ عَلَى رَأْسِ الدَّرَجَة. فَقُلْتُ لَهُ: قُلْ هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب، فَأَذنَ لي، قَالَ عُمَرُ: فَقَصَصْتُ عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ

---

(١) يريد عائشة — رضي الله عنها .

(٢) أقنعتني بكلامها فزال غضبي .

(٣) عبارة الترمذي : وكان منزلي بالعوالي في بني أمية وكان لي جار من الأنصار (اسمه عتبان بن مالك أو أوس بن خولي) كنا نتناوب النزول إلى النبي ﷺ فينزل يوماً يأتيني بخبر الوحي وغيره ، وأنزل يوما فآتيه بمثل ذلك.

(٤) لحربنا .

(٥) مشربة: غرفة، عجلة : درجة ، والغلام : اسمه رباح .

هَذَا الْحَدِيثَ فَلَمَّا بَلَغْتُ كَلامَ أُمِّ سَلَمَةَ تَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّهُ لَعَلَى حَصِيرٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ وَتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرَظٌ مَصْبُوبٌ[١] وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهَبٌ[٢] مُعَلَّقَةٌ فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ فَبَكَيْتُ. فَقَالَ: (مَا يُبْكِيكَ؟). قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمْ فِيهِ[٣] وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ[٤]. فَقَالَ: (أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ). رواه الشيخان والترمذي[٥].

وزاد الترمذي: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى أُمَّتِكَ فَقَدْ وَسَّعَ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ وَهُمْ لا يَعْبُدُونَهُ فَاسْتَوَى جَالِسًا وَقَالَ: (أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا). قَالَ: وَكَانَ أَقْسَمَ أَنْ لا يَدْخُلَ عَلَى نِسَائِهِ شَهْرًا فَعَاتَبَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ وَجَعَلَ لَهُ كَفَّارَةَ الْيَمِينِ.

وفي رواية فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ دَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ[٦].

---

(١) مصبوب: مجموع. والقرظ : ثمر العضاه وهي السنط يدبغ به .

(٢) أهب : جمع إهاب : جلد دبغ أم لم يدبغ .

(٣) من زينة الدنيا ونعيمها.

(٤) وأنت أولى بذلك.

(٥) صحيح البخاري – كتاب النكاح رقم ٥١٩١، صحيح مسلم – كتاب الطلاق ١٤٧٩، سنن الترمذي – كتاب التفسير رقم ٣٣١٨، التاج الجامع للأصول ج٤ ص ٢٦٨، ٢٦٩.

(٦) وفي رواية: وكان قد قال: ما أنا بداخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله ، فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها. فقالت عائشة : يا رسول الله إنك كنت قد أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أَعُدُّها عدًّا فقال: الشهر تسع وعشرين ليلة فكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة.

ما يؤخذ من الحديث:

- توقير العالم ومهابته وترقب خلوته للسؤال وتواضع العالم للمتعلم وصبره على مسألته.
- حسن تلطف ابن عباس وشدة حرصه على الاطلاع على فنون التفسير وطلب علو الإسناد والوقوف على أحوال النبي ﷺ .
- البحث في العلم في الطرق والخلوات وفي كل الأحوال.
- إيثار الاستجمار في الأسفار وإبقاء الماء للوضوء.
- أن طالب العلم يجعل لنفسه وقتاً يتفرغ فيه لأمر معاشه وحال أهله.
- شدة الوطأة على النساء مذموم والصبر على الزوجات والإغضاء عن أخطائهن والصفح عما يقع منهن من زلل في حق المرء دون ما يكون من حق الله تعالى.
- تأديب الرجل ابنته وقرابته بالقول لأجل إصلاحها لزوجها.
- التناوب في مجلس العالم إذا لم يتسنى المواظبة على حضوره لشاغل شرعي أو ديني أو دنيوي.
- جواز ضرب الباب ودقه إذا لم يسمع الداخل بغير ذلك.
- جواز اتخاذ الحاكم عند الخلوة بوابا يمنع من يدخل إليه بغير إذنه وأن الحاكم يحتجب عن بطانته وخاصته عند الأمر يطرقه من جهة أهله حتى يذهب غيظه ويخرج إلى الناس وهو منبسط إليهم.
- إذا احتجب الكبير لم يحسن الدخول إليه بغير إذن ولو كان الذي يريد أن يدخل جليل القدر عظيم المترلة عنده.
- الرفق بالأصهار والحياء منهم إذا وقع للرجل من أهله ما يقتضي معاتبتهم.
- السكوت يكون أبلغ من الكلام وأفضل في بعض الأحايين لأنه ﷺ لو أمر غلامه بردِّ عمر لم يجز لعمر العود للاستئذان مرة بعد أخرى فلما سكت

فهم عمر من ذلك أنه لم يؤثر ردَّه مطلقاً. وإن الحاجب إذا علم منع الإذن بسكوت المحجوب لم يأذن.

- مشروعية الاستئذان على الإنسان وإن كان وحده لاحتمال أن يكون على حالة يكره الاطلاع عليه فيها.
- جواز تكرار الاستئذان لمن لم يؤذن له إذا رجا حصول الإذن وأن لا يتجاوز به ثلاث مرات.
- التجمل بالثوب والعمامة والرداء.
- جواز سكنى الغرف ذات الدرج واتخاذ الخزانة لأثاث البيت والأمتعة.
- أن المرء إذا رأى صاحبه مهموماً استحب له أن يحدثه بما يزيل همه ويطيب نفسه.
- اهتمام الصحابة بمعرفة أحوال النبي ﷺ جلت أو قلت ورعاية خاطره ﷺ مخافة أن يحدث له هم أو تشويش ولو كان قليلاً.
- جواز نظر الإنسان إلى نواحي بيت صاحبه وما فيه إذا علم أنه لا يكره ذلك.
- كراهة سخط النعمة واحتقار ما أنعم الله به ولو كان قليلاً.
- وفيه المعاقبة على إفشاء السرِّ بما يليق بمن أفشاه.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه بشرى العاشقين (من معجزاته ﷺ).

من يبتغي عَدَّ آي المصطفى العلم	**وكله آية في الفعل في الكلم**
في الوصل في الهجر في ضيق وفي سعة	**في الأخذ في الرد في حرب وفي سلم**
في العفو في الأخذ في حلم وفي غضب	**في الزهد في الجود في الإيفاء بالذمم**
جمت خوارقه جلت خلائقه	**نارت طرائقه في حالك الظلم**
رقت رقائقه فاحت عوابقه	**شاقت شوائقه لله ذو الهمم**

٢٥٦ – يعطي النبيُّ ﷺ الرجلَ وغيره أفضل منه

عن عَمْرِو بنِ تَغْلِبَ النَّمَرِيِّ قال: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَالٌ فَأَعْطَى قَوْمًا وَمَنَعَ آخَرِينَ[١] فَبَلَغَهُ أَنَّهُمْ عَتَبُوا[٢] فَقَالَ: (إِنِّي أُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنِ الَّذِي أُعْطِي. أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ[٣] مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ) فَقَالَ عَمْرٌو: مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٤] حُمْرَ النَّعَمِ[٥]. رواه البخاري[٦].

---

(١) كان ﷺ يعطي من يخشى عليه الجزع والهلع والاعوجاج لمرض قلبه وقلة يقينه، ويمنع من يثق بصبره واحتماله وقوة يقينه وقناعته بثواب الآخرة.

(٢) أصابهم حزن وغضب لمنعهم من العطاء وإعطاء غيرهم.

(٣) وهو الكفاية .

(٤) وهي إدخاله إياه في أهل الخير والغناء، وقيل: المراد الكلمة التي قالها في حق غيره ممن أُعطوا.
فالمعنى لا أحب أن يكون لي حمر النعم بدلاً من الكلمة المذكورة التي لي، أو لا أحب أن يكون لي ذلك وتقال الكلمة في حقي. والكلمة تدل على قوة إيمانه المفضي لدخول الجنة.

(٥) حمر النعم: الإبل الحمر وهي أغلى أموال العرب.

(٦) صحيح البخاري ٧٥٣٥ كتاب التوحيد – باب قوله تعالى" إن الإنسان خلق هلوعا".

ما يؤخذ من الحديث:

- إن البشر جبلوا على حب العطاء وبغض المنع والإسراع إلى إنكار ذلك قبل التفكر في عاقبته إلاّ من شاء الله.

- إن المنع قد يكون خيراً.
- أن الرزق في الدنيا ليس على قدر درجة المرزوق في الآخرة ففي الدنيا بحسب السياسة الدنيوية.
- استئلاف من يخشى جزعه أو يرجى بسبب إعطائه طاعة من يتبعه. والاعتذار لمن ظن ظناً والأمر بخلاف ذلك.
- فيه فضيلة للصحابي عمرو بن تغلب النَّمريِّ وقوة يقينه بعطاء الله تعالى وغنى قلبه وقناعته.

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه تحت عنوان- الغَنِيُّ:

تقولُ مالَكَ لا ألفيك في سَعَةٍ ... وما رأيتك إلاَّ كنتَ مبتسماً

فقلتُ: إني فتىً راضٍ بقِسْمَتِهِ ... وما الغَنِيُّ سوى الراضي بما قسما

٢٥٧ – أوثان قوم نوح صارت إلى العرب [1]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهمَا: صَارَت الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُـوحٍ فِي الْعَرَب بَعْدَهُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْب بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ[2]. وَأَمَّـا سُـوَاعٌ كَانَـتْ لِهُذَيْلٍ[3]. وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ[4] عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّـا

---

(١) أول من أتى بالأصنام والتماثيل من الشام إلى الديار الحجازية عمـرو بـن لُحـى الخزاعي ، إذ سافر مرة من مكة إلى الشام ، فرأى أهل الشـام يعبـدون الأصنام فسألهم قائلاً: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قـالوا: نعبـدها، نسـتمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا . فقال لهم: أفلا تعطوني منها صنماً فاذهـب بـه إلى بلاد العرب فيعبدوه ؟ فأعطوه صنماً يقال له هبل وهو الذي نصبوه حول الكعبـة وبقى حولها إلى يوم الفتح الإسلامي حيث حُطِّم مع ثلثمائة وستين صنماً وأبعـدت فطهر البيت الحرام ، وطهرت مكة والحرم منها والحمد لله رب العالمين.

وكان عمرو بن لُحيٍّ محترماً في مكة مقدساً عند أهلها يُشَـرِّع لهـم فيقبلـون شرعه، ويبتدع لهم فيحسنون بدعته فكان أول من بدل دين إبراهيم وإسماعيل في الحجاز ويشهد بهذا قول النبي ﷺ في حديثه الصحيح: (رأيت عمرو بن لحى يجر من قصبه (أمعاءه كلها) في النار إنه كان أول من غير دين إسماعيل فنصـب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي). وبمقتضـى بدعة عمرو بن لحى في جلب الأصنام إلى الحجاز من الشام انتشرت الأصنام في بلاد العرب.

(٢) دومة الجندل: بفتح الجيم وسكون النون شمال المدينة قريبا من الشام تعبده قبيلة كلب القضاعية.

(٣) أما سواع فهو لسواع بن إلياس بن مضر تعبده قبيلة هذيل المضرية كانوا بقرب مكة بمكان يقال له رهاط من أرض الحجاز بجهة ساحل ينبع .

(٤) وفي روايه بالجرف . وفي رواية بالجون عند سبأ وهم بمخاليف اليمن جنوب مكة.

يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ[(١)]. وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لآلِ ذِي الْكَلاعِ[(٢)]. أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ[(٣)]. فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمِ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فيها أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا[(٤)]. فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ[(٥)].

---

(١) كانت لهمدان. وروى: كانت خيوان بطن من همدان بأرض اليمن اتخذوا يعوق بأرضهم.

(٢) اتخذوه بأرض حِمْيَرَ من اليمن وتعبده قبيلة ذو الكلاع من حِمْيَر.

(٣) فهذه الخمسة أسماء لرجال صالحين من قوم نوح.

(٤) أي جعلوا لهم تماثيل ووضعوها في الأماكن التي كانوا يجلسون فيها وسموها بأسمائهم ليجتهدوا في العبادة كلما رأوها .

(٥) فلما مات هؤلاء سول الشيطان لخلفهم أن يعبدوها فعُبدت. وانتشرت عبادة الأصنام. وكانت هناك أصنام كثيرة غير التي ذكرت كما ذكر ذلك ابن إسحاق وغيره من المؤلفين :

١ – عمانس: (لعله محرف عن " عم أنس " إذ لم يعثر في العربية اسم على هذا التركيب وكانت تعبده قبيلة خولان اليمانية بأرض خولان وهم الذين قسموا له أنعامهم وحروثهم ونزل فيهم قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾ الأنعام/ ١٣٦.

٢ – سعد: كانت تعبده قبيلة مِلْكَان بن كنانة المضرية.

وفيهم يقول الشاعر:

أتينا إلى سعد لتجمع شملنا — فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد إلاّ صخرةً بتنوفة — من الأرض لا تدعو لِغَيٍّ ولا رشد

والتنوفة من الأرض: هي القفر التي لا تنبت عشباً ولا كلأ.

وذلك أن هذا الشاعر أقبل بإبل مؤبلة ليقفها على سعد " الصنم " رجاء بركته فلما

رأته الإبل وكان ملطخا بدم القربان — نفرت وشردت وذهبت كل مذهب فأخذ صاحبها حجراً — وهو غضبان — وضرب سعداً الصنم وقال له: لا بارك الله فيك نفّرت عليَّ إبلي ثم طلب إبله وجمعها بعد تفرقها ثم أنشد الأبيات.

٣ — ذو الخليصة : وكانت تعبده دَوْس وخثعم وبجيلة بِتَبَالَة جنوب مكة ببلاد اليمن وهذا الصنم بعث إليه رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلي فهدمه عندما نصر الله دينه ورسوله والمؤمنين والحمد لله رب العالمين.

٤ — أساف ونائلة : وهما صنمان كانا بالكعبة ثم وضعا على الصفا والمروة كانت تعبدهما قريش من جملة أصنامها ، ويُرْوى أن أصلهما كان رجلاً وامرأة من جرهم فَجَرَا في داخل الكعبة فمسخهم الله تعالى فالرجل يدعى إسافاً والمرأة تدعى نائلة، ولما جاء الإسلام تحرج أناس في السعي بين الصفا والمروة لمكان إساف ونائلة منهما فرفع الله ذلك الحرج بقوله : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ البقرة ١٥٨. أي لا حرج عليه في السعي بينهما.

٥ – العزّى: وكانت بنخلة عن يمين الصاعد إلى العراق من مكة وكان سدنتها وحجابها بنو شيبان حلفاء بني هاشم وكانت تُعْبَدُ وتقدَّس تقديس البيت الحرام.

٦ — اللات: كانت بالطائف وكانت ثقيف تعبدها ومنهم سدنتها وحجابها.

٧ – مناة: وكانت على ساحل البحر من ناحية المشلل قرب قديد وتعبدها قبيلتا الأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب " المدينة " ولما جاء الإسلام وانتصر التوحيد على الشرك بعث رسول الله ﷺ أبا سفيان أو علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فهدمها.

٨ — فِلْس: بجبلي طَيِّئ وهما سلمى وأجا من أرض طيئ شمال الحجاز قريباً من حائل (المدينة المعروفة اليوم) كانت تعبده طيئ بأنواع العبادات كالهدي إليه والاستسقاء به والائتمان بساحته . وبعث النبي ﷺ عليّ بن أبي طالب فهدمه وكان شبه إنسان لاصق بجبل أجا.

رواه البخاري[1].

---

٩ – رئام: وهو بيت لِحِمْيَر بصنعاء اليمن يعظمونه وينحرون عنده وتكلمهم الشياطين عنده لفتنتهم.

١٠ – رُضاء: وهو بيت أيضاً لبني ربيعة بن كعب بن زيد مناة بن تميم ، ولما جاء الإسلام هدمها المستوغر بن ربيعة.

١١ – ذو الكعبات: وهو بيت لبكر وتغلب ابني وائل وإياد وكان بِسِنْدَاد ، وهي منازل لإياد أسفل سوار الكوفة.

وكان أكثر ما يعمله العرب مع أصنامهم أن أحدهم إذا أراد السفر توجه إلى صنمه فتمسح به ثم سافر ، وإذا عاد من سفره أول ما يبدأ به يتمسح بصنمه ثم يدخل على أهله.

(١) صحيح البخاري رقم ٤٩٢٠ ، التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٢٧٤ .

ما يؤخذ من الحديث:

- التمسك بالشريعة وعدم التفريط فيها والحذر من البدع والأمور المستحدثة والاسترسال معها فإنها تجر إلى المهالك.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه بشرى العاشقين تحت عنوان- العالم قبل بعثته ﷺ :

أتى البرية والدنيا مظالمها ... وجهلها صيراها حالك الظلم

فلو تراهم وللأصنام قد عبدوا ... تقول كم صنم قد هام في صنم

وقد دعاها إلى التوحيد منفرداً ... وإلفها الشرك عم الأذن بالصمم

ما زال يدعو وما زالت تطارده ... ودأبه اللين في قوم أولى غشم

حتى استجابت إليه منهمو فئة ... ذليلة أصبحت بالدين في شمم

وقد رأوا منهمو مالو رأى علـــم لأصبحت كالثرى أحجار ذا العلم[١]

لولا عماهم لما هاموا بما صـــنعوا من الفلز وما صاغوا من الرِّضَـــمِ[٢]

وما لهم ملكت ضرًّا ولا رشـــدا ولا مماتا ولا بعثـــاً مـــن الـــرُّجَم[٣]

يا ويلهم عبدوا ما ينحتون ومـــا بالوا بخالقهم مـــن وَهْـــدَة العـــدم

رب الوجود وما يبقى الوجود وما يعرو الوجود من النعمـــاء والـــنقم

سبحانه أكلـــوا أرزاقـــه ونـــأَوْا عنه وإحســـانه ينـــهلُّ كالـــديم[٤]

عمَّ الفريقين في الـــدنيا برحمتـــه واختص في تلك أهلَ الدين بـــالنِّعَم

(١) العَلَمُ: الجبل.

(٢) الفلز: المعدن ، الرِّضَم: الحجارة.

(٣) الرُّجَم: القبور.

(٤) الديم: جمع ديمه : المطر الدائم.

٢٥٨ – أول ما نزل من القرآن

عَنْ يَحْيَى قال: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ – رضي الله عنهما – أيُّ الْقُـرْآنِ أُنْزِلَ أَوَّلُ؟ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) قُلْتُ أُنْبِئْتُ أَنَّهُ (اقْرَأْ بِاسْـمِ رَبِّـكَ الَّذِي خَلَقَ) فَقَالَ: لا أُخْبِرُكَ إِلا بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: (جَاوَرْتُ فِي حِرَاءٍ[١] فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي هَبَطْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ الْوَادِيَ فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَإِذَا هُوَ[٢] جَالِسٌ عَلَى عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْـتُ: دَثِّرُونِـي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا فَفَعَلُوا وَأُنْزِلَ عَلَيَّ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ[٣] قُمْ فَأَنْذِرْ[٤] وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) [٥].

رواه الشيخان[٦].

---

(١) جاورت في حراء: اعتكفت فيه .

(٢) جبريل عليه السلام .

(٣) النبي ﷺ. المدثر: الملفوف في الثياب .

(٤) خوِّف قومك النار إن لم يؤمنوا.

(٥) عظِّمه بتوحيده وعبادته .

(٦) صحيح البخاري رقم ٤٩٢٥ ، صحيح مسلم كتاب الإيمان رقم ٢٥٥. التـاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٢٧٦ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه روضات الخطيب في قصيدة: عيد الأعياد عن علمه وكتابه ﷺ:

يا أيها الأمي حسبك أنه ... بالعلم جاد عليك ذو الإيجاد
وحماك تعليم السّوى حتى تَرَى ... عظم الذي أولاك من إمداد
وعليك ضن بأن يُرى لمعلم ... فضل عليك وأنت أعظم هاد
لو كنت من خط الكتاب يمينه ... لارتاب في التتريل أهل عناد
لكنما هو نفحة قدسية ... خرَّت لها بلغاء أهل الضاد
الله أنزله مصادر رحمة ... ودواء داء حادث أو عاد
وَمَعِينُ آداب وسِرُّ ملذة ... وصوى الطريق ومصدر الآراد[1]
ومزيل آلام وجالب عزة ... وأجل ما يدني من الجواد
وبه طوى الأشياء جل جلاله ... ما بين مضمر سره والباد

(١) صوى الطريق: منارها. والآراد: الأضواء.

٢٥٩ - خزنة جهنم

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ نَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ لأُنَاسٍ مِنْ الصحابة: هَلْ يَعْلَمُ نَبِيُّكُمْ عَدَدَ خَزَنَةِ[١]. جَهَنَّمَ؟. قَالُوا: لا نَدْرِي حَتَّى نَسْأَلَ نَبِيَّنَا. فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ غُلِبَ أَصْحَابُكَ الْيَوْمَ. قَالَ: (وَبِمَ غُلِبُوا[٢]؟) قَالَ: سَأَلَهُمْ الْيَهُودُ، فقالوا: لا نَدْرِي حَتَّى نَسْأَلَ نَبِيَّنَا؟ قَالَ: (أَفَغُلِبَ قَوْمٌ سُئِلُوا عَمَّا لا يَعْلَمُونَ فَقَالُوا لا نَعْلَمُ حَتَّى نَسْأَلَ نَبِيَّنا؟ لَكِنَّهُمْ قَدْ سَأَلُوا نَبِيَّهُمْ فَقَالُوا: أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً، عَلَيَّ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ[٣] إِنِّي سَائِلُهُمْ عَنْ تُرْبَةِ الْجَنَّةِ وَهِيَ الدَّرْمَكُ[٤]) فَلَمَّا جَاءُوا قَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ كَمْ عَدَدُ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ؟ قَالَ: هَكَذَا وَهَكَذَا فِي مَرَّةٍ عَشَرَةً وَفِي مَرَّةٍ تِسْعًا[٥] قَالُوا: نَعَمْ . قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا تُرْبَةُ الْجَنَّةِ؟) فَسَكَتُوا هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالُوا: أخبرنا يَا أَبَا الْقَاسِمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْخُبْزُ مِنَ الدَّرْمَكِ) .

رواه الترمذي بسند غريب [٦].

---

(١) الخزنة: جمع خازن وهم الملائكة الموكلون بعذاب أهل النار.

(٢) أي بأي شيء غلبوا .

(٣) عليّ بأعداء الله أي إيتني هم وادْعُهُم .

(٤) الدَّرمك " دقيق الْحُوَّارَي والتراب الناعم " .

(٥) وأشار بعدد أصابعه الشريفة في كل مرة.

(٦) سنن الترمذي – كتاب التفسير رقم ٣٣٢٧.

ما يؤخذ من الحديث:

- دأب اليهود على التقليل من شأن الأنبياء حيث سألوا أصحاب النبي ﷺ بقولهم: هل يعلم نبيكم ؟ وكان الأولى أن يقولوا هل تعلمون.

- من سئل عن إحاطة عالم بأحد العلوم أجاب إن كان عنده علم بذلك، وإلاّ سأل العالم ولا غضاضة عليه في ذلك.
- للكبير أن يفضح من أراد أن يقلل من شأنه بإظهار مساوئه التي حدثت منه وأن يستدعيه ليجيب له عن سؤاله وأن يسأله عن العلم الذي لم يحط به ليظهر له مدى قصور علمه ويؤدبه بذلك.
- الإجابة بالإشارة — تفي بالغرض فإن اليد أحد اللسانين.
- طيب تربة الجنة.

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه روضات الخطيب في قصيدته- حديقة الأبرار في مدح المختار ﷺ :

ظَهَرت بمظهره العلوم ظهورا	وبعلمه اعترف الشهور دهورا[١]
ما خط سطراً أو تلا مسطورا	وأتى بما بهر العقول عجائبا[٢]
عِلْمٌ عليه أفاضه مولاه	مَنْ بالكريم من الكلام حباه[٣]
والعلم أجمع ضمه طرفاه	وبقدر ذهن المرء يرجع صائبا[٤]

(١) الشهور: العلماء. والواحد شهر.

(٢) بهر: غلب.

(٣) الكريم : القرآن الكريم. حباه: أعطاه.

(٤) والعلم أجمع: أي حوى القرآن كل شيء ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾. ومعنى: بقدر ذهن المرء يرجع صائباً: أن القرآن يستفيد كلٌّ منه على حسب استعداده.

٢٦٠ – المؤمن القوي، والضعيف

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قال: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّه مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ[١] وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ[٢] احْرِصْ[٣] عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّه وَلا تَعْجَزْ[٤] وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ اللهُ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ[٥]).

---

(١) قال النووي: المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة ، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد ، وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه ، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها .

(٢) قوله ﷺ " وفي كل خير " معناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات .

(٣) احرص : بكسر الراء معناه احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك .

(٤) لا تعجز : لا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة.

(٥) قال المناوي: قوله ﷺ (فإن لو تفتح عمل الشيطان) هو عدم الإيمان بالقدر ، وعدم الرضا بصنع الله تعالى ، فإن القدر إذا ظهر بما يكره العبد . قال العبد: لو فعلت كذا لم يكن هذا ، وقد مر في علم الله تعالى أنه لا يفعل إلا الذي فعل ولا يكون إلا الذي كان ، وأما قوله ﷺ في قصة فسخ الحج إلى العمرة: (لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت . ماسقت الهدى) فليس من هذا القبيل ، وإنما هو كلام قصد النبي ﷺ به تطييب قلوبهم وتحريضهم على التحلل عن الحج وأفعال العمرة.

رواه مسلم[1].

قال القاضي عياض: هذا النهي إنما هو لمن قاله معتقداً ذلك حتماً ، وأنه لو فعل ذلك لم تصبه قطعاً ، فأما من رد ذلك إلى مشيئة الله تعالى بأنه لن يصيبه إلا ما شاء الله فليس من هذا ، واستدل بقول أبي بكر الصديق ﷺ في الغار: " لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا " قال وهذا لا حجة فيه ؛ لأنه إنما أخبر عن مستقبل وليس فيه دعوى لرد قدر بعد وقوعه ، وكذا جميع ما ذكره البخاري في باب " ما يجوز من اللو " كحديث " لولا حدثان عهد قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم " وحديث : " لو كنت راجماً بغير بينة لرجمت هذه " وحديث : " لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك " وشبه ذلك فكله مستقبل لا اعتراض فيه على قدر فلا كراهة فيه ؛ لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع . وعما هو في قدرته ، فأما ما ذهب فليس في قدرته .

(١) صحيح مسلم – كتاب القدر – حديث رقم ٢٦٦٤ .

ويقول الأمام الخطيب ﷺ في ديوانه- حِكَم شاعر الرسول ﷺ ج١ص٤٩ .

سلم لربك فالذي يختار ... أولى بنا من كل ما نختار

أفيستوي محدودُ علمٍ بالذي ... قد أذعنت لعلومه الأسرار

واسأله جزماً أن ينيلك فيهما ... من فضله ما ناله الأبرار

تسبب وأيقن أن ما خُط لن ترى ... سواه ولكن أبْدِ بالفعل عذركا

وإياك – لو – إن لم تنل ما تريده ... فإن بها الشيطان يغلب أمركا

---

٢٦١ - النبي وابن أم مكتوم وصناديد قريش

عَنْ عَائِشَةَ- رضي الله عنها - قَالَتْ: جاء ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الأعْمَى[١] إلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجعَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرْشِدْنِي[٢]- وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ- فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الآخَرِ وَيَقُولُ: (أَتَرَى بِمَا نَقُولُ بَأْسًا[٣]) فَيَقُولُ: لا. فَفِي هَذَا نَزَلَتْ(عَبَسَ وَتَوَلَّى* أَن جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى* أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى* وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى* وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى* وَهُوَ يَخْشَى* فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى* كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ* فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ)[٤].

---

(١) اسمه عمرو بن زائدة، ويقال عمرو بن قيس بن زائدة، وقيل اسمه عبد الله ، والأول أكثر وأشهر ، وأم مكتوم اسم أمه.

(٢) أرشدني : علمني .

(٣) أترى بما نقول بأساً : أي أترى بما نقول في التوحيد ضرراً وحرجاً .

(٤) الآيات من ١ – ١٢ من سورة عبس .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في كتابه تفسير جزء عم عند تفسيره هذه السورة: هذه السورة أنزلها الله تعالى عتاباً للنبي ﷺ وذلك أن النبي ﷺ جاءه وفد من كبار قريش وهو بمكة فعرض عليهم الإسلام وأخذ يبين لهم فضائله، وإذا بعبد الله بن أم مكتوم – وكان أعمى – أقبل إلى النبي ﷺ وقال له: علمني مما علمك الله ، وأخذ يكرر هذه الجملة والنبي ﷺ يخاطب صناديد قريش ويدعوهم إلى الإسلام وكان الرسول ﷺ يؤمل إذا آمن هؤلاء القوم – وهم كبار قريش ومعهم أتباعهم من قريش ومن القبائل الأخرى – أن يدخل الناس في دين الله أفواجاً، فكره من ابن أم مكتوم مقاطعته إياه وأعرض عنه فأنزل الله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾

رواه الترمذي بسند حسن [1].

وتبيينا لمكانته الكريمة ﷺ لم يقل له عبست وتوليت إنما خاطبه بصيغة الغائب علماً منه سبحانه أن مواجهة النبي ﷺ بالعتاب تشق على قلبه وتؤلمه ألماً زائداً فحول الخطاب إلى الغائب حتى كأن المقصود سوى النبي ﷺ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ :

وهل النبي ﷺ يستحق هذا العتاب من الله تعالى؟ وهل جنى زلة استحق عليها المعاتبة ؟

الجواب: النبي ﷺ اجتهد وذلك لأن ابن أم مكتوم مسلم ، وهؤلاء القوم أقبلوا إلى النبي ﷺ وعرض عليهم الإسلام ورجا إيمانهم وبإيمانهم يؤمن الكثير من أهل مكة ومن القبائل الأخرى، لأن مصلحة الدين في إقباله عليهم رجاء أن يؤمنوا به فيدخل الناس في دين الله. وترك ابن أم مكتوم لأنه مسلم وعنده أساس النجاة. والمصطفى ﷺ يقول: " إني لأعطي الرجل وأدع الرجل من العطاء وهو أحب إليّ " يعطي الرجل لأنه يبغي تألفه وتثبيت الإيمان في قلبه ويدع الرجل من العطاء وهو أحب إليه ممن أعطاه لأنه مؤمن ويكتفي بإيمانه عن عطائه.

إذا كان الأمر كذلك وأن النبي ﷺ لم تحصل منه زلة تدعو إلى العتاب لم عاتبه الله؟

الجواب: أن الله تعالى نظر إلى قلوب الفقراء المنكسرة قلوهم من أجله وأنه تعالى لا يبالي بالأغنياء إذا كانوا على شيء من الكبر والعتو، فخشية أن يفهم الفقراء إعراض النبي ﷺ عنهم، عاتبه الله تعالى جبراً لقلوبهم ، وإلاّ فالنبي ﷺ ما حصلت منه زلة تستوجب عتابه وإنما أدّاه اجتهاده إلى ما حصل منه والمجتهد على كلٍّ مثاب.

ولم ذكر ابن أم مكتوم بصيغة الأعمى؟

إنما ذكره ليبين عذره في مقاطعة النبي ﷺ ؛ ولأنه لو كان بصيراً مشاهداً للقوم الذين أمام الرسول ﷺ يخاطبهم داعياً إياهم إلى الإسلام لما قاطعه- فعماه كان عذره.

(١) سنن الترمذي — كتاب التفسير — حديث رقم ٣٣٣١.

٢٦٢ – النبيُّ المعجبُ بأمته

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ إذَا صَلَّى الْعَصْرَ هَمَسَ[١] فسئل عن ذلك فقال: (إنَّ نَبِيًّا منَ الأنْبِيَاء كَانَ أُعْجِبَ بِأُمَّته[٢] فَقَالَ مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلاء فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْه أَنْ خَيِّرْهُمْ بَيْنَ أَنْ أَنْتَقمَ منْهُمْ[٣] وَبَيْنَ أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ فَاخْتَارُوا النِّقْمَةَ[٤] فَسُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتُ فَمَاتَ منْهُمْ في يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا) .

---

(١) همس: أي تكلم بكلام خفي، والهمس في قول بعض الرواة : تحريك شفتيه كأنه يتكلم وقال ابن الأثير : الهمس الكلام الخفي لا يكاد يفهم.

(٢) أعجب بأمته : أعجب بصيغة المجهول من الإعجاب بأمته أي من جهة الكثرة . يقال أعجب بالشيء : سره الشيء وعجب منه. فالعجب يحبط الأعمال ويودي بحياة الرجال. قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ التوبة/ ٢٥ .
فكانت بداية أمرهم الإعجاب بكثرتهم فوكلوا إلى هذه الكلمة فكانت الهزيمة في الابتداء إلى أن تراجعوا فكان النصر والظفر للمسلمين ببركة سيد المرسلين ﷺ فبين الله أن الغلبة إنما تكون بنصر الله لا بالكثرة.

(٣) أنتقم منهم : أعاقبهم .

(٤) النقمة : بالكسر والفتح : المكافأة بالعقوبة . يقول صاحب التاج: همس النبي ﷺ أي حرك شفتيه كأنه يتعوذ مما حصل لتلك الأمة التي أعجب نبيها من كفرها وعنادها فهلك منهم سبعون ألفاً لعله يؤمن باقيهم . ويحتمل أنه أعجب بكثرتها وإطاعتها فعاقبهم الله بموت سبعين ألفاً منهم فماتوا في أسرع وقت وأحسن حال وكان لهم رفيع الدرجات في الآخرة.

رواه الترمذي بسند حسن [١].

(١) سنن الترمذي – كتاب التفسير رقم ٣٣٤٠ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه حكم شاعر الرسول ﷺ ج١ص٧٤.

لا تعجبن فتحبطن وترجعن إلى ورا — واحذر مجاورة السفيه فمثله معه جرى

فضحت نفسك يا من قد عجبت بها — ولم تصنها وقد نفذت أهواها

وأجل عند الله سيئة – بها — تستاء من حسنات ذي الإعجاب

عقل وجود وحيا — بها الحياة والحيا

بخل وعجب وهوى — من فيه إحداها هوى

ويقول ﷺ في نقاية التصوف:

والعجب والكبر الذميم اجتنب — واترك لحقد حسد وغضب

٢٦٣ - ما ودعك ربك وما قلى

عن جُنْدُب بْن سُفْيَانَ رَضِي اللَّهُ عَنْه قَالَ: اشْتَكَى رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا فَجَاءَت امْرَأَةٌ[١]. فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاث. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَـزَّ وَجَلَّ (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى[٢] مَا وَدَّعَكَ[٣] رَبُّكَ وَمَا قَلَى)[٤].

رواه الشيخان[٥].

---

(١) هي العوراء بنت حرب أخت أبي سفيان ، وهي زوجة أبي لهب التي نزل فيهـا ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾ .

(٢) سجى : غطى بظلامه كل شيء ، ويقال سجا الليل يسجو: سكن وهدأ كـل شيء فيه .

(٣) ما ودعك : أي ما قطعك منذ أرسلك وسمى الوداع وداعاً لأنه فراق ومتاركة.

(٤) ماقلى: أي ما أبغضك ولا جفاك ، وقيل تأخر الوحي خمسة عشر يوما فقـال الكفار ودعه ربه وقلاه فرد الله عليهم بهذا .

(٥) صحيح البخاري – كتاب التفسير – رقم ٤٩٥٠، صحيح مسـلم – كتـاب الجهاد والسير – رقم ١٧٩٧ .

٢٦٤ - أبو جهل والنبي ﷺ

عَنِ ابنِ عباسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ[١]؟ قِيلَ: نَعَمْ فَقَالَ: وَاللاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لاطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِه . فَأَتَى رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ[٢] وَيَتَّقِي بِيَدَيْه، فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ، وَهَوْلا[٣] وَأَجْنِحَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: (لَوْ دَنَا مِنِّي لاخْتَطَفَتْهُ[٤] الْمَلائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا[٥]).فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (كَلا[٦] إِنَّ الأنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى[٧] أَرَأَيْتَ[٨] الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ

---

(١) هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب.

(٢) ينكص: بضم الكاف رجع على عقبيه يمشي ورائه .

ومعنى فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه" أي فما أتاهم فجأة إلا وهو يرجع القهقري .

(٣) الهول : الخوف والأمر الشديد .

(٤) الخطف: استلاب الشيء وأخذه بسرعة . قال النووي: " ولهذا الحديث أمثلة كثيرة في عصمته ﷺ من أبي جهل وغيره ممن أراد به ضرراً. قال الله تعالى : "والله يعصمك من الناس " .

(٥) لقطعته الملائكة .

(٦) كلا : حقاً.

(٧) الرجعى : قال صاحب التاج : الرجوع من الغنى للفقر، ومن العز للذل، ومن الحياة للموت. فلا مفر من ربك

(٨) أرأيت للتعجب في المواضع الثلاثة .

كَانَ عَلَى الْهُدَى[١] أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ[٢] وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى[٣] كَلا لَئِنْ لَمْ يَنْتَه لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ[٤] كَلا لا تُطِعْهُ واسجد واقترب)[٥]. رواه مسلم[٦].

وعنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فَجاءَ أَبو جَهْلٍ فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهكَ عَنْ هَذا أَلَمْ أَنْهكَ عَنْ هَذَا ؟ فَزَبَرَهُ[٧] النَّبِيُّ ﷺ فَقالَ أَبو جَهْلٍ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا بِهَا نَادٍ أَكْثَرُ مِنِّي فَأَنْزَلَ اللَّهُ (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ[٨] سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَوَاللَّهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لأخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ اللَّهِ. رواه الترمذي وصححه[٩].

---

(١) أرأيت إن كان على الهدى : أي أرأيت إن كان الْمُنهي.

(٢) أرأيت إن كذب : أي إن كذب الناهي النبي ﷺ.

(٣) أي يرى ما حصل منه مع أفضل خلقه.

(٤) الزبانية: الملائكة الغلاظ الشداد ، وهم خزنة جهنم سموا بذلك لأنهم يدفعون أهل النار إليها بشدة.

(٥) سورة العلق آية ٦ : ١٩.

(٦) صحيح مسلم – كتاب صفات المنافقين رقم ٢٧٩٧، التاج ج ٤ ص ٢٩٤.

(٧) فزبره : بزاي موحدة فراء: أي نهر النبي ﷺ أبا جهل وأغلظ له في القول . وفي رواية ابن جرير : فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره .

(٨) أي أهل ناديه ؛ لأن النادي من المجلس الذي يجلس وينتدي فيه القوم ويجتمعون فيه من الأهل والعشيرة ، ولا يسمى المكان نادياً حتى يكون فيه أهله. والمعنى ليدع عشيرته وأهله ليعينوه وينصروه .

(٩) سنن الترمذي – كتاب التفسير – رقم ٣٣٤٩ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه بشرى العاشقين من معجزاته ﷺ:

وفي الأراشي لما جاء منتصراً | به على شر أهل الظلم والظلم
ابتاع أجماله والنقدَ ماطله | وهو المليُّ ولكن كان ذا نَهَمِ[١]
وما الفقير سوى من عنده جشع | ولو تحكم في النقدين واليتم [٢]
وحينما دق خير الخلق منزله | أتاه مُمتقعا من شدة الوكم[٣]
من هاب مولاه هاب الخلق سطوته | ومن تقحم حد الله يقتحم [٤]
فقال أد لهذا حقه فأتى | بحقه غير منقوص بلا أتم [٥]
وقال إذ ليم لو لم أقضه لقضى | عليّ فحل حديد الناب ذو أرم[٦]
وصده قبلُ لمّا أن بغى سفها | رَضًا لرأس رسول الله بالرضم [٧]
وليس فَحْلاً ولكنَّ الأمين أتى | في صورة الفحل دفاعاً لبغيهم
من لاذ بالله يغلب من يناوئه | ومن غدا في حمى مولاه لم يضم
وتاجر من زبيد سام أَيْنُقَهُ | بخسا وهاب الأذى غيرٌ فلم يُسِم[٨]
ولم يجد منصفاً إلاّ الرسول فقد | أرضاه سوما ولم يرهب أبا الحكم[٩]
ورد مال يتيمٍ كان قَيِّمَهُ | لولاك باء بذل الفقر واليتم

(١) ابتاع: اشترى. والملي: الغني. والنهم : الجشع.

(٢) النقدين : الذهب والفضة .

(٣) ممتقعا: متغير اللون. والوكم : الحزن.

(٤) تقحم: دخل. يقتحم : يحتقر .

(٥) أتم : إبطاء

(٦) قضى عليَّ: أهلكني. أرم : من أرم ما على المائدة: أكله فلم يبق منه شيئاً.

(٧) رضًا: كسراً. والرُّضْم: الحجارة.

(٨) الأينق: الإبل.

(٩) أرضاه سوماً: أي جاء له بأفضل سعر، واشتراهم منه رسول الله ﷺ ثم باعهم وأعطى للتاجر ثمن الإبل وما تبقى من ثمنها رده ليتيم كان أبو جهل قيماً له وهضم حقه . أبو الحكم: كنية اللعين أبي جهل.

٢٦٥ – استياء النبي ﷺ ورؤياه بني أمية فوق منبره

عَنْ يُوسُفَ بْنِ سَعْد ﷺ قَالَ: قَامَ رَجُلٌ[١] إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ – رضي الله عنهما – بَعْدَ مَا بَايَعَ مُعَاوِيَةَ[٢]. فَقَالَ: سَوَّدْتَ وُجُوهَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ: يَا مُسَوِّدَ وُجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: لا تُؤَنِّبْنِي[٣] رَحِمَكَ اللَّهُ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيَ[٤] بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى مِنْبَرِهِ فَسَاءَهُ ذَلِكَ فَنَزَلَتْ (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) يَا مُحَمَّدُ يَعْنِي نَهْرًا فِي الْجَنَّةِ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)[٥] يَمْلِكُهَا بَنُو أُمَيَّةَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ الْقَاسِمُ[٦]: فَعَدَدْنَاهَا[٧] فَإِذَا هِيَ أَلْفُ شَهْرٍ لا يَزِيدُ يَوْمٌ وَلا يَنْقُصُ[٨].

---

(١) وفي رواية ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل عن عيسى بن مازن قال: قلت للحسن بن علي.

(٢) أي بعد ما بايع الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي ، أبا عبد الرحمن الخليفة صحابي أسلم قبل الفتح وكتب الوحي ومات في رجب سنة ستين وقارب الثمانين .

(٣) قوله " لا تؤنبني " بصيغة النهي من التأنيب وهو المبالغة في التوبيخ والتعنيف .

(٤) أُرِيَ : بصيغة المجهول من الإيراء أي في المنام .

(٥) الآيات ١ – ٣ من سورة القدر .

(٦) هو القاسم بن الفضل الحداني .

(٧) فعددناها: أي مدة خلافة بني أمية ، وفي رواية ابن جرير فحسبنا ملك بني أمية.

(٨) فإذا هي ألف شهر: أي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر وكان استقلال إمارة بني أمية منذ بيعة الحسن بن علي لمعاوية وذلك على رأس أربعين سنة من الهجرة، وكان انفصال دولتهم على يد أبي مسلم الخرساني سنة ١٣٢هـ، وذلك اثنان وتسعون سنة يسقط منها مدة خلافة ابن الزبير ثمان سنين وثمانية أشهر يبقى ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر .

رواه الترمذي بسند غريب [1].

قال صاحب التاج: فلما رأى ﷺ في النوم بنو أمية على منبره وساءه ذلك أعطاه الله الكوثر وأعطاه ليلة القدر وهي خير من ألف شهر التي يملكها بنو أمية.

(١) سنن الترمذي – كتاب التفسير رقم ٣٣٥٠ .

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه وحي الحديث تحت عنوان (من صفته ﷺ :

يا سيد السادات يا من قدره	لا تستطيع له الورى إدراكا
ماذا يقول الناس فيك وربهم	بأتم تربية له رباكا
حلاّك بالخلق العظيم وفضله الـ	ـفضل العظيم عليك ما أعلاكا
آواك من يتم وأعطاك الغنى	ولدينه الدين القويم هداكا
شكراً لك اللهم أنت كفلته	نعم الكفيل تقدست أسماكا
أدبته وبه حلفت وذكره	أعليته حليته بحلاكا
إن الذين يبايعونك إنما	قد بايعوا يا عبدنا مولاكا
روح الوجود وسرُّه ومنيره	ومُمِدُّه وبه يفوح شذاكا
يا مرسَلاً للمرسلين تقدموا	ولمن إليهم أرسلوا لهداكا
سبقوك سبق الجند أملاكاً لهم	سبق الجنود يعظم الأملاكا
مهدوا العقول لشرعه حتى أتى	لهمو فبدد عنهموا الأحلاكا
أوحى إليك الله ما أوحى وبالـ	ـمحمود يوم قيامة أصفاكا
حشد الكرام حفاوة بك مسرياً	وإلى العلا شرفا لها استدعاكا
وأرك حضرته لتشرف بالذي	مُنع الكليم بخ بخ لعلاكا

ويقول ﷺ في ديوانه رباعيات الخطيب في قصيدته عيد الأعياد (شفاعته ﷺ) :

ولكَمْ لكُم في المذنبين شفاعة ... وكذاك للأبناء والأحفاد
والنهر والحوض الذي أكوابه ... مثل النجوم الزهر في الأعداد
من تسقه يا ذا الندى جاز الصدى ... وجميعنا للشرب منه صواد

ويقول في ديوانه وحي الحديث عن ليلة القدر:

في عشره الأخرى فجدَّ مشمراً ... وإذا اعتكفت بها يفز مسعاكا
ما أنت إلاَّ ضيفُه في بيته ... وهو الكريم فما أجل قراكا
وإذا ظفرت بها بليلة قدره ... فهناك غفران الذنوب، هناكا
عن ألف شهر فضلت إذ أنزلت ... آي بها فأدم لها مسراكا
من يمنها خفيت لتطلب فالجزا ... فيها إذا نيلت وفي مسعاكا
والروح فيها والملائك نزل ... وهي السلام إلى طلوع ضياكا
واسأل بها عفو العفو ولطفه ... ويُديمَ من شرَّيْهِمَا إنجاكا

٢٦٦ – عُقد الشيطان وما يحلها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ[١] رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَد يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَة مكانها عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ[٢] فَارْقُدْ فَإِن اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّها فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ[٣] وَإِلا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ[٤]).

---

(١) قال المناوي: القفا، وقيل قافية الرأس مؤخرته، وقيل وسطه، أراد تثقيله في النوم وإطالته ، فكأنه شد عليه شدادا ، وعَقْدُهُ ثلاث عُقَد ، واختلف في هذه العقد هل عَقْدٌ حقيقي يعني عقد السحر للإنسان ومنعه من القيام ، وقال تعالى: ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ الفلق/ ٤ ، فعلى هذا هو قول يقوله يؤثر في تثبيط النائم كتأثير السحر .

وقيل يحتمل أن يكون فعلاً يفعله كفعل النفاثات في العقد .

وقيل: هو من عقد القلب وتصميمه فكأنه يوسوس في نفسه ويحدثه بأن عليك ليلاً طويلاً فتأخر عن القيام.

وقيل: هو مجاز كُنِيَ به عن تثبيط الشيطان عن قيام الليل .

(٢) ليل طويل بالرفع : أي بقى عليك ليل طويل .أي ما زال أمامك الليل طويل

(٣) قوله : فأصبح نشيطاً طيب النفس " أي لسروره بما وفقه الله له من الطاعة ووعده به من ثوابه ، مع ما يبارك له في نفسه وتصرفه في كل أموره ، مع ما زال عنه من عقد الشيطان وتثبيطه .

(٤) وإلا أصبح خبيث النفس كسلان. قال النووي: معناه لما عليه من عقد الشيطان وآثار تثبيطه واستيلائه لأنه لم يَزُلْ ذلك عنه .

رواه الشيخان[1].

وفي الحديث فوائد منها :

الحث على ذكر الله تعالى عند النوم وعند الاستيقاظ .

التحريض على الوضوء والصلاة عند النوم وعند الاستيقاظ.

(١) صحيح البخاري في صلاة الليل رقم ١١٤٢، صحيح مسلم كتاب صلاة المسافر رقم ٧٧٦ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه وحي الحديث (حب الله طاعته):

إياك والشيطان تقفو إثره ... فتزل عن قصد السبيل خطاكا

واحذر مخادعة الرجيم فربما ... تخذ الجميل إلى القبيح شباكا

ودعاك للشنعاء دعوة مخلص ... حتى إذا قارفتها خلاكا

أفتدعي عقلاً وحسن تبصر ... وتعين من عاداك في مرداكا

لا عز إلا للمطيع ومن عصى ... فله المذلة هاهنا وهناكا

ويقول ﷺ في ديوانه مجامع الأنوار عن بعض فوائد الذكر:

كم رحمة بالذكر وافته وكم ... بالذكر قد دفع الذي يخشاه

وتكشفت حجب الغيوب وأخلصت ... فتخلصت مما يشوب نواه

وغدت به مرضى القلوب صحيحة ... ورمى بوسواس وما ألقاه

لا شيء مثل الذكر يذهب رانها ... والفتح بالأذكار ما أدناه

٢٦٧ - الذي بال الشيطان في أذنيه

قالَ عَبْدُ اللهِ ﷺ : ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ - رجُلٌ نَامَ ليلَةً حَتَّى أصْبَحَ - قالَ: (ذاكَ رجلٌ بالَ الشَّيطَانُ في أُذُنَيْهِ) أو قالَ: (في أُذُنِهِ)[١].

رواه البخاري[٢].

(١) اختلفوا في معناه :

فقال ابن قتيبة: معناه أفسده، يقال : بال في أذنه إذا أفسده .

وقال الطحاوي وغيره : هو استعارة وإشارة إلى انقياده للشيطان وتحكمه فيه .

وقيل معناه : استخف به واستعلى عليه ، يقال لمن استخف بإنسان وخدعه بال في أذنه، وأصل ذلك في دابَّة تفعل ذلك بالأسد إذلالاً له. وقيل هو كناية عن سد الشيطان أذن الذي ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذكر. وقال الطيبي: خص الأذن بالذكر وإن كانت العين أنسب بالنوم إشارة إلى ثقل النوم . فإن المسامع هي موارد الانتباه وخص البول لأنه أسهل مدخلاً في التحاويف وأسرع نفوذاً في العروق فيورث الكسل في جميع الأعضاء.

قال القاضي عياض: ولا يبعد أن يكون ذلك ظاهره ، وخص الأذن لأنها حاسة الانتباه .

(٢) صحيح البخاري - قيام الليل رقم ١١٤٤ ، صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين رقم ٧٧٤، إكمال المعلم للقاضي عياض ج ٣ ص ١٣٩ .

ما يؤخذ من الحديث:

- قبح الذي لا يقوم من الليل.
- اتخاذ الأسباب المعينة على قيام الليل قبل النوم من طهارة وذكر وتخفيف المعدة من الطعام وعقد النية على القيام للصلاة.

٢٦٨ – مثل النبي ﷺ ومثل أمته

عن جابر ﷺ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ جِبْرِيلَ عِنْدَ رَأْسِي، وَمِيكَائِيلَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: اضْرِبْ لَهُ مَثَلًا[١] فَقَالَ: اسْمَعْ سَمِعَتْ أُذُنُكَ[٢] وَاعْقِلْ عَقَلَ قَلْبُكَ[٣]. إِنَّمَا مَثَلُكَ وَمَثَلُ أُمَّتِكَ[٤] كَمَثَلِ مَلِكٍ اتَّخَذَ دَارًا[٥] ثُمَّ بَنَى فِيهَا بَيْتًا ثُمَّ جَعَلَ فِيهَا مَائِدَةً[٦]. ثُمَّ بَعَثَ رَسُولاً يَدْعُو النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ[٧]، فَمِنْهُمْ مَنْ أَجَابَ الرَّسُولَ وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَهُ[٨]. فَاللَّهُ هُوَ الْمَلِكُ وَالدَّارُ الإِسْلَامُ، وَالْبَيْتُ الْجَنَّةُ وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ رَسُولٌ فَمَنْ أَجَابَكَ دَخَلَ الإِسْلَامَ وَمَنْ دَخَلَ الإِسْلَامَ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ

---

(١) اضرب: أي بين له. مثلاً: تمثيلاً وتصويراً للمعنى المعقول في صورة الأمر المحسوس ليكون أوقع تأثيراً في النفوس .

(٢) فقال اسمع: هذا خطاب للنبي ﷺ ، سمعت أذنك جملة دُعائية .

(٣) واعقل: أي افهم ، والمعنى كن حاضراً حضوراً تاماً لتفهم هذا المثل .

(٤) مثلك ومثل أمتك: أي صفتك وصفة أمتك .

(٥) اتخذ داراً أي بناها .

(٦) قال في القاموس: المائدة : الطعام، والخوان عليه الطعام. وقيل مأدبة: فالقرآن مأدبة الله.

وفي رواية البخاري (وجعل فيها مأدبة)، والمأدبة طعام يدعى إليه الناس لوليمة .

(٧) أي إلى طعام الملك.

(٨) فمنهم من أجاب الرسول : أي قبل دعاءه ، ومنهم من تركه أي لم يجبه .

فمن يتبع محمداً ﷺ فإنه يكون أجاب الله ودخل بيته وأكل من مائدته أي فمن يعتنق الإسلام فمآله مجاورة الله تعالى والنعيم الدائم في الجنة ، نسأل الله رضاه والجنة آمين.

دَخَلَ الْجَنَّةَ أَكَلَ مَا فِيهَا) .

رواه الترمذي والبخاري [١]

(١) صحيح البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة رقم ٧٢٨١ ، سنن الترمذي كتاب الأمثال رقم ٢٨٦٠ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه روضات الخطيب في عيد الأعياد "مكانته ﷺ":

أبدى مقامك أن ربك سيدي	صلى عليك وأكرمُ الأجناد[١]
وبها مع التسليم قد أمر الأولى	سبقت لهم منه يد الإسعاد
ونُعِتَّ بالخلق العظيم بذكره	وبعمرك الغالي تألى الهاد[٢]
وبُعثت تكملة المكارم كلها	وطهارةً للأرض من إفساد[٣]
أنت الرؤوف بنا وأنت رحيمنا	وسراجنا قمر العلاء البادي
أنت المبشر والنذير ورحمة	للعالمين وأنت نور هاد
إن الذين يبايعونك إنما	قد بايعوا المولى بلا ترداد
ما من كتاب منزل إلاَّ به	بشرى الوجود بأحمد الحماد[٤]

(١) أكرم الأجناد: الملائكة.

(٢) قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ . والعمر: الحياة. وتألى: أقسم الله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾.

(٣) قال عليه الصلاة والسلام: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال".

(٤) قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ﴾ وهذا يدل على كمال صدقه ﷺ ؛ لأنه كان يدعو اليهود والنصارى إلى إتباعه فهل يعقل أن يقول: من علامة نبوتي أنكم تجدونني مكتوباً عندكم ولا يجدونه أليس ذلك مما يزيدهم نفوراً؟.

٢٦٩ – اضربوا له مثلاً

عَن عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءَ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، وخَرَجَ إِلَى بَطْحَاءِ مَكَّةَ[١] فَأَجْلَسَنِي وخَطَّ عَلَيَّ خَطًّا[٢]، وقَالَ: (لا تَبْرَحْه[٣]، ولا تكلم أحداً)، ثُمَّ ذهب وجاء في آخرِ اللَّيْلِ فدَخَلَ عَلَيَّ فِي خَطِّي فَتوَسَّدَ فَخِذِي[٤] فرَقَدَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَقَدَ نَفَخَ فَبَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ وَهُو مُتَوَسِّدٌ فَخِذِي إِذَا أَنَا بِرِجَالٍ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بِيضٌ اللَّهُ أَعْلَمُ مَا بِهِمْ مِنَ الْجَمَالِ فَانْتَهَوْا إِلَيَّ فَجَلَسَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ رِجْلَيْهِ ثُمَّ قَالُوا بَيْنَهُمْ: مَا رَأَيْنَا عَبْدًا قَطُّ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا النَّبِيُّ؛ إِنَّ عَيْنَيْهِ تَنَامَانِ وَقَلْبُهُ يَقْظَانُ اضْرِبُوا لَهُ مَثَلاً: مَثَلُ[٥] سَيِّدٍ بَنَى قَصْرًا ثُمَّ جَعَلَ مَأْدُبَةً فَدَعَا النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ فَمَنْ أَجَابَهُ أَكَلَ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرِبَ مِنْ شَرَابِهِ وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ عَاقَبَهُ أَوْ قَالَ عَذَّبَهُ ثُمَّ ارْتَفَعُوا وَاسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:(سَمِعْتَ مَا قَالَ هَؤُلَاءِ وَهَلْ تَدْرِي مَنْ هَؤُلَاءِ؟) قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ فَتَدْرِي مَا الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبُوا؟) قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ:

---

(١) بطحاء مكة: أي مسيل واديها ، والبطح والبطيحة والبطحاء والأبطح مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

(٢) وخط عليَّ خطاً : أي خط حولي خطاً مستديراً محيطاً بي .

(٣) لا تبرحه: أي لا تفارق الخط الذي خُط لك.

(٤) فتوسد فخذي: أي جعل فخذي وسادة .

(٥) أي مثله مثل سيد القصر .

(الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبُوا: الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَنَى الْجَنَّةَ وَدَعَا إِلَيْهَا عِبَادَهُ فَمَنْ أَجَابَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ عَاقَبَهُ أَوْ عَذَّبَهُ).

رواه الترمذي بسندصحيح [١].

---

(١) سنن الترمذي – كتاب الأمثال رقم ٢٨٦١.

ما يؤخذ من الحديث:

- للإمام أن يتخذ كافة الأعمال التي تكفل الحفظ والسلامة لتابعيه ويأمرهم بالتزامها وعدم تخطيها.
- الطاعة التامة لأوامر المتبوع تؤدي إلى السلامة والنجاة للتابعين.
- تواضع النبي ﷺ مع أصحابه.
- علو منزلة الصحابة عند رسول الله ﷺ وحرصه على مرافقتهم له لتعليمهم.
- يقظة وطهارة وذكاء قلب النبي ﷺ وصحة خواطره يقظة ومناما.
- شهادة الملائكة للنبي ﷺ بأن ما أوتيه لم يؤته عبد قط .
- جواز ضرب الأمثال للتقريب للأذهان.
- رفعة منزلة أبي هريرة لأنه شاهد الملائكة الذين أتوا رسول الله ﷺ وهو نائم وتكلموا عنده وسؤال النبي ﷺ له : أسمعت ما قال هؤلاء.
- جواز رؤية البشر للملائكة يقظة .
- للعالم التأكد من المتعلم عما شاهد وسمع.
- المتعلم إذا أراد تحصيل مزيد علم أن يقول الله ورسوله أعلم ليكون ذلك مفتاحاً لإفاضة العلم عليه من العالم وعلى العالم أن يشرح له ما كان غامضاً عليه ويوضحه بأسلوب سهل ميسر.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه روضات الخطيب في عيد الأعياد (ديانته ﷺ) .

يا راسماً للناس خير ديانة ... يلقي الهدى الملقي لها بقياد

نظمت صلاح الدين والدنيا معاً ... وسلامة الأرواح والأجساد

سيان ذو الإملاق فيها والغنى ... والعبد مثلُ السادة الأمجاد

لا فرق بين رعية ورعاتها ... فيها وفوق الكل رب عباد

وبها دعوت إلى التواصل والندى ... والعدل والإحسان والإرشاد

ومعزة وأمانة ورعاية ... وسماحة وشجاعة وسداد

ونهيت عن فحش وظلم وافترا ... وتكبر وتقاطع وعناد

وجد الفقير من الزكاة قوامه ... فغدا لذي الإثراء ربَّ وداد

فصفت لهم تلك الحياة بأمنهم ... في دورهم وسبيلهم والناد

أس الملذات الأمان ، وكلها ... من دونه لم تخل من أنكاد

ولو ان كلَّ الناس مُسْتَنٌّ بها ... ما كان مَعْدُوٌّ عليه وعاد

٢٧٠ - درجات المجاهدين في الجنة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ[١]. كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ[٢] جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ[٣]. الَّتِي وُلِدَ فِيهَا) فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ[٤]؟ قَالَ: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ[٥] فَإِنَّهُ

---

(١) لم يذكر الزكاة والحج – وإن ذكروا في بعض الرويات – وأيضاً فإن الحديث لم يُذكر لبيان الأركان فكان الاقتصار على ما ذكر، ولأن الزكاة لا تجب إلاّ على من له مال بشرطه والحج لا يجب إلاّ مرة على التراخي على من استطاع.

(٢) فضلاً منه وكرماً لا وجوباً فإن الله لا يجب عليه شيء .

(٣) تأنيساً لمن حرم الجهاد وأنه ليس محروما من الأجر.

(٤) أي أفلا نبشر الناس حتى يفرحوا بهذه البشارة. والذين قالوا: أبو الدرداء عند الطبراني، وعند الترمذي معاذ بن جبل قال: قلت يا رسول الله ألا أخبر الناس ؟ قال : " ذر الناس يعملون فإن الجنة مائة درجة" . فظهر أن المراد لا تبشر الناس فيقفوا عند ذلك ولا يتجاوزوه إلى ما هو أفضل منه من الدرجات التي تحصل بالجهاد. فالنبي ﷺ لم يسوِّ بين المجاهدين والقاعدين على عمومها وإنها في أصل دخول الجنة لا في تفاوت الدرجات . والله أعلم.

(٥) الفردوس : أي الجنة المسماة بالفردوس المذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ* أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ الآيات ١ : ١١ من سورة المؤمنون .

أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ[١]) أُرَاهُ[٢] قال: (وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ[٣] وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ[٤]).

رواه البخاري والترمذي[٥].

---

(١) الأوسط: الأعدل والأفضل وقال ابن حبان: المراد بالأوسط السعة وبالأعلى الفوقية.

(٢) أراه : أظنه. هو شك من يحيى بن صالح شيخ البخاري فيه وقد رواه غيره عن فليح فلم يشك منهم: يونس بن محمد عند الإسماعيلي وغيره هكذا: (فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة أراه فوقه عرش الرحمن ...) فتح الباري.

(٣) هذا يدل على أن الفردوس فوق جميع الجنان ، ولذا قال ﷺ تعليما للأمة وتعظيما للهمة " فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس " لأنها أفضلها وأعلاها.

(٤) وفي رواية ومنها تفجر: أي ومن الفردوس تفجر بصيغة المجهول أن تشقق وتجري " أنهار الجنة " أي أصولها الأربعة من الماء واللبن والخمر والعسل .

(٥) صحيح البخاري – كتاب الجهاد رقم ٢٧٩٠، سنن الترمذي – كتاب صفة الجنة رقم ٢٥٣٠.

وفي الحديث:

- بشارة عظيمة لهذه الأمة المحافظين منهم على أداء الفرائض.
- وفضيلة ظاهرة للمجاهدين.
- عظم الجنة وعظم الفردوس منها.
- فيه إشارة إلى أن درجة المجاهد قد ينالها غير المجاهد إما بالنية الخالصة أو بما يوازيه من الأعمال الصالحة لأنه ﷺ أمر الجميع بالدعاء بطلب الفردوس.
- وفيه الدعوة إلى الاجتهاد والإخلاص في الأعمال والإلحاح في الدعاء بطلب المنازل العلا.
- وفيه طلب المنازل التي لم يبلغها الإنسان بعمله طمعاً في رحمة الله تعالى.

– يقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه وحي الحديث من فضائل الجهاد:

واطلب حياتك بالممات مجاهداً ... في الله عند الله من أحياكا
ما بين منزلتين من مائة له ... ما بين أرضك هذه وسماكا
كم للشهيد شفاعة في أهله ... ودم كمسك فاح منه شذاكا
والمصطفى ودَّ الحياة وقتلَه ... متكرراً لَمَّا أحس عطاكا
وتَنَالُ مغفرةً بأول دَفْعَةٍ ... وبجنة المأوى ترى مأواكا[1]
وَأَمِنْتَ أَكْبَرَ فَزْعَةٍ وَالشَّرَّ فِي ... قَبْرٍ وتَاجُ وَقَارِهِ بَهَّاكَا
وأمنت مس لظى إذا اغبرت له ... في حرب أهلِ عدائِه قدماكا
وتزوج الثنتين والسبعين من ... حور فيا بشراك يا بشراكا

(١) أي مع من يغفر لهم أولاً. أو في أول دفعة تسيل من دمه.

٢٧١ – تمني النبي الشهادة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تَضَمَّنَ اللَّهُ[١] لِمَـنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لا يُخْرِجُهُ إِلاَّ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَإِيمَانًـا بِـي وَتَصْـدِيقًا بِرُسُلِي[٢] فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ[٣] أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ[٤] أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْـكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ[٥] وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ

---

(١) وفي رواية " تكفل الله " والمعنى : أوجب الله تعالى له الجنة بفضله وكرمه سـبحانه وتعالى ، وهذا الضمان والكفالة موافق لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُـؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْـهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّـذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾. آية رقم ١١١ من سورة التوبة .

(٢) جهاداً مفعول لأجله أي لم يخرجه لشيء إلا الجهاد ، ومثله إيمانـاً وتصـديقاً ، والتقدير لا يخرجه المخرج ويحركه المحرك إلا للجهاد والإيمان والتصديق، وقوله: (لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي وإيماناً بي ، وتصديقاً برسلي) معناه : لا يخرجـه إلا محض الإيمان والإخلاص لله .

(٣) قوله : " فهو علي ضامن " : قال النووي : ذكروا في معنى ضامن وجهين: أحدهما: أنه بمعنى مضمون كماء دافق ومدفوق ، والثاني أنه بمعنى : ذو ضمان.

(٤) " أن أدخله الجنة " قال القاضي عياض : يحتمل أن يدخل عند موته كما قـال تعالى في الشهداء: ﴿ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ من الآية ١٦٩ من آل عمران.

(٥) معناه : ما حصل له من الأجر بلا غنيمة إن لم يغنم أو من الأجر والغنيمة معـا إن غنموا ، وقيل إنَّ "أو " هنا بمعنى الواو أي من أجر وغنيمة .

مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ[١] فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلافَ سَرِيَّةٍ[٢] تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا وَلَكِنْ لا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ وَلا يَجِدُونَ سَعَةً وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ [٣]).رواه مسلم والبخاري[٤].

وعنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَقَابُ قَوْسٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَتَغْرُبُ) .

وَقَالَ: (لَغَدْوَةٌ أَوْ رَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ

---

(١) كلم يكلم : أي جرح يجرح . قال النووي: وفيه دليل على الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره ، والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهدُ فضيلته وبَذْله نَفْسَهُ في طاعة الله تعالى ، وفيه دليل على جواز اليمين وانعقادها بقول " والذي نفسي بيده " ونحو هذه الصيغة من الحلف بما يدل على الذات ، ولا خلاف في هذا . قال أصحابنا : اليمين تكون من الحلف بما يدل على الذات ، ولا خلاف في هذا . واليمين تكون بأسماء الله وصفاته ، أو ما دل على ذاته ، قال القاضي عياض: واليد هنا بمعنى القدرة والملك.

(٢) السرية: الجماعة تخرج للجهاد ، ومعنى خلاف سرية أي خلفها وبعدها وفيه ما كان عليه ﷺ من الشفقة على المسلمين والرأفة بهم ، وأنه كان يترك بعض ما يختاره للرفق بالمسلمين ، وأنه إذا تعارضت المصالح بدأ بأهمها وفيه مراعاة الرفق بالمسلمين والسعي في زوال المكروه والمشقة عنهم .

(٣) فيه فضيلة الغزو والشهادة ، وفيه تمني الشهادة والخير ، وتمني مالا يمكن في العادة من الخيرات ، وفيه أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين .

(٤) صحيح البخاري رقم ٣٦ ، صحيح مسلم كتاب الإمارة رقم ١٨٧٦ .

وَتَغْرُبُ[(١)]).

رواه الخمسة إلا أبا داود. وللبخاري والترمذي[(٢)]: (وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ[(٣)] لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا[(٤)]. وَلَمَلأَتْهُ رِيحًا وَلَنَصِيفُهَا[(٥)] عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا).

---

(١) الغدوة : السير أول النهار إلى الزوال، والروحة السير من الزوال إلى آخر النهار، وأو هنا للتقسيم لا للشك ، ومعناه: أن الروحة يحصل بها هذا الثواب وكذا الغدوة والظاهر ألاّ يختص ذلك بالغدوة والرواح من بلدته ، بل يحصل هذا الثواب بكل غدوة أو روحة في طريقه للغزو. وكذا بغدوة وروحة في موضع القتال، لأن الجميع يسمى غدوة وروحة في سبيل الله.
ومعنى الحديث : أن فضل الغدوة والروحة في سبيل الله وثوابها خير من نعيم الدنيا كلها لو ملكها الإنسان ، وتصور تنعمه بها كلها لأنه زائل ونعيم الآخرة باق .

(٢) صحيح البخاري – كتاب الجهاد رقم ٢٧٩٦، مسلم – الإمارة رقم ١٨٨٠ ، سنن النسائي ج ٦ ص ٣٢، سنن الترمذي – كتاب فضائل الجهاد رقم ١٦٤٨، سنن ابن ماجة – الجهاد رقم ٢٧٥٧ .

(٣) اطلعت إلى الأرض : أي أشرفت عليها ونظرت إليها .

(٤) لأضاءت ما بينهما : أي ما بين المشرق والمغرب، أو ما بين السماء والأرض، أو ما بين الجنة والأرض وهو الأظهر .

(٥) نصيفها: أي خمارها الذي تغطي به رأسها. وقيد بقوله على رأسها تحقيراً له بالنسبة إلى خمار البدن جميعه .

أقول وإذا كان هذا خير من الدنيا وما فيها فكيف الجنة نفسها وما بها من نعيمها.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ :

والمصطفى ودَّ الحياة وقتله ... متكرراً لمّا أحسَّ عطاكا

٢٧٢ – من معجزاته ﷺ

عَنْ أُمِّ حَرَامٍ[(١)]– رضي الله عنها– قَالَتْ: أَتَانَا النَّبيُّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ عِنْدَنَا[(٢)] فَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ[(٣)]. فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّه بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ قَالَ: (أُرِيتُ قَوْمًا مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ ظَهْرَ الْبَحْرِ كَالْمُلُوك عَلَى الأَسِرَّة[(٤)]). فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ: قَالَ: (فَإِنَّك مِنْهُمْ). قَالَتْ: ثُمَّ نَامَ فَاسْتَيْقَظَ أَيْضًا وَهُوَ

---

(١) أم حرام النجارية : هي خالة أنس بن مالك صحابية مشهورة ، وما كان النبي ﷺ يدخل بيتاً وينام فيه إلا عندها وعند أختها أم أنس.

(٢) فقال: أي نام وقت القيلولة .
وعند الترمذي : " فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ ".

(٣) وهو يضحك: أي فرحاً وسروراً لكون أمته تبقى بعده متظاهرة أمور الإسلام قائمة بالجهاد حتى في البحر .

(٤) ورواية لأحمد : مثلهم مثل الملوك على الأسرة ، قال ابن عبد البر: أراد والله أعلم أنه رأى الغزاة في البحر من أمته ملوكاً على الأسرة في الجنة، ورؤياه وحي، وقد قال الله تعالى في صفة أهل الجنة: (عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) . وقال: (عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ) ، والأرائك السُّرر في الحجال وهي الستائر على أعمدة حول السرر .
وقال القاضي عياض: هذا محتمل ويحتمل أيضاً أن يكون خبراً عن حالهم في الغزو من سعة أحوالهم وقوام أمرهم وكثرة عددهم وجودة عُدَدهم فكأنهم الملوك على الأسرة ، قال الحافظ : وفي هذا الاحتمال بُعد والأول أظهر ، لكن الإتيان بالتمثيل في معظم طرقه يدل على أنه رأى ما يؤول إليه أمرهم ؛ لا أنهم نالوا ذلك في تلك الحالة . أو موقع التشبيه أنهم فيما يؤول إليه أمرهم أنهم فيما هم من النعيم الذي أثيبوا به على جهادهم مثل ملوك الدنيا على أسرتهم فالتشبيه بالمحسوسات أبلغ في نفس السامع.
وقال النووي: قيل هو صفة لهم في الآخرة إذا دخلوا الجنة ، والأصح أنه صفة لهم في الدنيا ، أي يركبون مراكب الملوك لسعة حالهم، واستقامة أمرهم، وكثرة عددهم .

يَضْحَكُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَته فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ[١]. قَالَ: (أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ). قَالَ[٢]: فَتَزَوَّجَهَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ بَعْدُ، فَغَزَا بِهَا فِي الْبَحْرِ- فَلَمَّا جَاءَتْ قُرِّبَتْ لَهَا بَغْلَةٌ فَرَكِبَتْهَا فَصَرَعَتْهَا[٣] فَمَاتَتْ[٤].

رواه الخمسة[٥].

---

(١) قولها : " ادع الله أن يجعلني منهم " في المرة الثانية دليل على أن رؤياه الثانية غير الأولى ، وأنه عرض فيها غير الأوَّلين .

(٢) أنس بن مالك راوي الحديث عن خالته أم حرام بنت ملحان.

(٣) وفي رواية : (فلما انصرفوا من غزوهم قافلين إلى الشام قربت إليها دابة لتركبها فصرعت فماتت) ، وفي رواية عند أحمد : (فوقصتها بغلة لها شهباء فوقعت فماتت)، وفي رواية (فوقعت فاندقت عنقها) ، والحاصل أن البغلة الشهباء قربت إليها لتركبها فشرعت لتركب فسقطت فاندقت عنقها فماتت .

(٤) قال النووي: استدل العلماء بهذا الحديث على أن القتال في سبيل الله تعالى ، والموت فيه سواءً في الأجر ؛ لأن أم حرام ماتت ولم تقتل ، ولا دلالة فيه لذلك؛ لأن النبي ﷺ لم يقل إنهم شهداء إنما يغزون في سبيل الله ، ولكن قد ذكر مسلم من رواية أبي هريرة : " من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد" وهو موافق لمعنى قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾. قال النووي وفيه: "أي الحديث " : معجزات للنبي ﷺ منها إخباره ببقاء أمته بعده ، وأنه تكون لهم شوكة وقوة وعدد ، وأنهم يغزون ، وأنهم يركبون البحر ، وأن أم حرام تعيش إلى ذلك الزمان ، وأنها تكون معهم وقد وُجد بحمد الله كل ذلك .

(٥) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير رقم ٢٧٩٩، مسلم – كتاب الإمارة رقم ١٩١٢ ، سنن أبو داود – كتاب الجهاد رقم ٢٤٩٠ ، سنن الترمذي – كتاب فضائل الجهاد رقم ١٦٤٥ ، سنن النسائي – الجهاد رقم ٣١٧١.

٢٧٣ – خير الناس وشر الناس

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ؟ رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانِ[1] فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. أَلا أُخْبِرُكُمْ بِالَّذِي يَتْلُوهُ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ[2] يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ فِيهَا. أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ رَجُلٌ " يُسْأَلُ بِاللَّهِ وَلا يُعْطِي بِهِ"[3]).

رواه الترمذي ومسلم[4].

---

(١) رجل ممسك بعنان فرسه : كناية عن مداومة الجهاد .

(٢) رجل معتزل في غنيمة له : تصغير غنم، قال النووي: في الحديث دليل لمن قال بتفضيل العزلة على الخلطة وفي ذلك خلاف مشهور، فمذهب الشافعي وأكثر العلماء: أن الاختلاط أفضل بشرط رجاء السلامة من الفتن، ومذهب طوائف من الزهاد أن الاعتزال أفضل، وأجاب الجمهور بأنه محمول على زمن الفتن والحروب، أو فيمن لا يسلم الناس منه أو لا يصبر على أذاهم ، وقد كانت الأنبياء صلوات الله عليهم وجماهير الصحابة والتابعين والعلماء والزهاد مختلطين ويحصلون منافع الاختلاط بشهود الجمعة والجماعة والجنائز وعيادة المريض وحِلَقِ الذكر وغير ذلك .

(٣) قوله: "رجل يُسأل بالله ولا يعطي " : هذا يحتمل وجهين : أحدهما أن قوله يُسْأَلُ بلفظ المجهول وقوله: لا يعطي– على بناء المعلوم. أي شر الناس من يسأل منه صاحب حاجة بأن يقول أعطني لله وهو يقدر ولا يعطي شيئاً بل يرده خائباً.
والثاني: أن يكون قوله : "يَسْأَل" على بناء المعلوم ،وقوله : لا يعطَى على بناء المفعول أي يقول: أعطني بحق الله ولا يُعْطَى .

(٤) سنن الترمذي – كتاب فضائل الجهاد رقم ١٦٥٢ ، سنن النسائي ج ٥ ص ٨١٣ ، سنن الدارمي رقم ٢٣٩٥ .

٢٧٤ – من مالت نفسه إلى العزلة

مالتْ نفسُ رجلٍ إلى العُزْلَة فسألَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَ: (لا تَفْعَلْ[١] فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ[٢] فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاتِه فِي بَيْتِه سَبْعِينَ عَامًا[٣]. أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الْجَنَّةَ؟! أُغْزُو[٤] فِي سَبِيلِ اللَّهِ. مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوَاقَ نَاقَةٍ[٥] وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ).

رواه الترمذي بسند حَسَنٍ[٦].

---

(١) لا تفعل: نهي عن ذلك ؛ لأن الرجل صحابي وقد وجب عليه الغزو، فكان اعتزاله للتطوع معصية لاستلزامه ترك الواجب .

(٢) قوله: " فإن مقام أحدكم " قال القاري: بفتح الميم أي قيامه ، وبضمها وهي الإقامة بمعنى ثبات أحدكم " في سبيل الله " أي بالاستمرار في القتال مع الكفار.

(٣) سبعين عاماً : قال القاري المراد به الكثرة لا التحديد فلا ينافي ما ورد أن رسول الله ﷺ قال : " مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة الرجل ستين سنة " رواه الحاكم.

(٤) اغزوا : أي داوموا على الغزو في سبيل إعلاء كلمة الله ورفعة دينه .

(٥) فواق ناقة : قال في القاموس الفواق هو ما بين الحلبتين من الوقت ، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع . وقال في المجمع: هو ما بين الحلبتين لأنها تحلب ثم تترك سريعة ترضع الفصيل لتدر ثم تحلب .

(٦) سنن الترمذي- كتاب فضائل الجهاد رقم ١٦٥١ .

٢٧٥ - عمل يسير وأجر كثير

عَنِ الْبَرَاءِ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّبِيت[1] فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عَمِلَ هَذَا يَسِيرًا وَأُجِرَ كَثِيرًا [2]).

رواه الشيخان [3].

---

(١) النبيت : بنون مفتوحة ثم باء مكسورة : هم قبيلة من الأنصار .

قال ابن حجر: وقد أخرج ابن إسحاق في المغازي قصة عمرو بن ثابت بإسناد صحيح عن أبي هريرة أنه كان يقول: أخبروني عن رجل دخل الجنة لم يُصلِّ صلاة؟ هو عمرو بن ثابت.

قال ابن إسحاق: قال الحصين بن محمد: قلت لمحمود بن لبيد: كيف كانت قصته؟ قال: كان يأبى الإسلام فلما كان يوم أحد بدا له فأخذ سيفه حتى أتى القوم فدخل في عرض الناس فقاتل حتى وقع جريحاً فوجده قومه في المعركة فقالوا: ما جاء بك؟ أشفقة على قومك أم رغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام قاتلت مع رسول الله ﷺ حتى أصابني ما أصابني ، فقال رسول الله ﷺ : "إنه من أهل الجنة".

وروى أبو داود والحاكم عن أبي هريرة: كان عمرو يأبى الإسلام لأجل ربا كان له في الجاهلية.

وعند النسائي: أنه قال لرسول الله ﷺ: لو أني حملت على القوم فقاتلت حتى أقتل أكان خيراً لي ولم أصل صلاة؟ قال: (نعم) فأسلم. وفي رواية: أخير لي أن أسلم ؟ قال: (نعم) فأسلم.

وأما كونه من بني عبد الأشهل ونسب إلى بني النبيت فيمكن أن يحمل على أن له في بني النبيت نسبة ما فإنهم إخوة بني عبد الأشهل يجمعهم الانتساب إلى الأوس.

(٢) فيه شهادة له بالدرجة العظمى والمترلة العليا على قتله في سبيل الله عقب إسلامه.

(٣) البخاري رقم ٢٨٠٨ كتاب الجهاد والسير. التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٣٣٤.

٢٧٦ - ما زالت الملائكة تظله حتى رفع

قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه: جِيءَ بِأَبِي[١] إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ[٢] وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْه فَذَهَبْتُ أَكْشِفُ وَجْهَهُ فَنَهَانِي قَوْمِي فَسَمِعَ صَوْتَ صَائِحَةٍ فَقِيلَ: ابْنَةُ عَمْرٍو أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو[٣]. فَقَالَ: (لِمَ تَبْكِي؟) أَوْ (لا تَبْكِي[٤] مَا زَالَتِ الْمَلائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ[٥]).

رواه الشيخان[٦].

---

(١) وفي رواية: جيء بأبي مسجى، والمسجى المغطى .

(٢) مَثَلَ به : يقال : مثل بالقتيل والحيوان يَمْثُلُ مثلاً ، كَقَتَلَ يَقْتُلُ قَتْلاً ، إذا قطع أطرافه : أنفه أو أذنه أو مذاكيره ونحو ذلك ، والاسم: الْمُثْلَةُ ، فأما مُثِّل بالتشديد فهو للمبالغة ، والرواية هنا بالتشديد .

(٣) هي فاطمة أخت عبد الله عمة جابر ﷺ .

(٤) ومعناه أن هذا الجليل القدر الذي تظله الملائكة بأجنحتها لا ينبغي أن يبكي عليه بل يفرح له بما صار إليه .

(٥) قوله " فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع " قال القاضي: يحتمل أن ذلك لتزاحمهم عليه ، لبشارته بفضل الله ورضاه عنه ، وما أعد له من الكرامة وازدحموا عليه ، إكراما له وفرحاً به ، أو أظلوه من الشمس لئلا يتغير ريحه أو جسمه .

(٦) صحيح البخاري رقم ١٢٩٣، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة رقم ٢٤٧٢.

٢٧٧ - فيهما فجاهد

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: (أَلَكَ وَالِدَانِ؟) قَالَ: نَعَمْ قَالَ: (فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ[١]).

---

(١) قوله : " ففيهما فجاهد " أي جاهد نفسك أو الشيطان في تحصيل رضاهما وإيثار هواهما على هواك ، وقيل: المعنى فاجتهد في خدمتهما، وإطلاق الجهاد للمشاكلة ، والفاء الأولى فصيحة والثانية زائدة ، وزيادتها في مثل هذا شائع ومنه قوله تعالى : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ .
قال الطيبي: ففيهما متعلق بالأمر ، والفاء الأولى جزاء شرط محذوف، والثانية جزائية لتضمن الكلام معنى الشرط أي إذا كان الأمر كما قلت فاختص المجاهدة في خدمة الوالدين نحو قوله تعالى : ﴿ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ .
أي إذا لم يخلصوا العبادة في أرض فاخلصوها في غيرها ، فحذف الشرط وعوض منه تقديم المفعول المفيد للاختصاص ضمناً ، وقوله فجاهد جيء به مشاكلة يعني حيث قال فجاهد في موضع فاخدمهما ؛ لأن الكلام في الجهاد ، ويمكن أن يكون الجهاد بالمعنى الأعم الشامل للأكبر والأصغر. قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ .
وقال العيني: " ففيهما فجاهد " أي ففي الوالدين فجاهد الجار والمجرور متعلق بمقدر وهو جاهد ولفظ جاهد المذكور مفسراً له ؛ لأن ما بعد الفاء الجزائية لا يعمل فيما قبلها ، ومعناه خصصهما بالجهاد ، وهذا كلام ليس ظاهره مراد؛ لأن ظاهر الجهاد إيصال الضرر للغير ، وإنما المراد إيصال القدر المشترك من كلفة الجهاد وهو بذل المال وتعب البدن فيؤول المعنى إلى: أُبذُل مالك واتعبْ بدنك في رضى والديك .
قال البغوي: هذا في جهاد التطوع لا يخرج إلا بإذن الوالدين إذا كانا مسلمين. فإن كان الجهاد فرضاً متعيناً فلا حاجة إلى إذنهما ، وإن منعاه عصاهما وخرج، وإن كانا كافرين فيخرج بدون إذنهما فرضاً كان الجهاد أو تطوعاً، وكذلك لا يخرج إلى شيء من التطوعات كالحج والعمرة والزيارة ولا يصوم التطوع إذا كره الوالدان المسلمان أو أحدهما إلا بإذنهما أ.هـ .

رواه الخمسة [١].

وجاءَ رجلٌ مِنَ الْيَمَنِ لِيُجاهِدَ معَ النَّبيِّ ﷺ فَقَالَ: (هَلْ لَكَ أَحَدٌ بِـالْيَمَنِ؟) قَالَ: أَبَوايَ. فقَالَ: (أَذِنَا لَكَ؟) قَالَ: لا. قَالَ: (ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَاسْتَأْذِنْهُمَا- فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ، وَإِلا فَبِرَّهُمَا [٢]). رواه أبو داود[٣].

(١) صحيح البخاري رقم ٣٠٠٤ ، مسلم كتاب البر رقم ٢٥٤٩ ، سنن أبي داود الجهاد رقم ٢٥٢٩ ، سنن الترمذي كتاب الجهاد رقم ١٦٧١ ، سنن النسائي ج ٦ ص ١٠ .

(٢) هذا في جهاد التطوع ، وفي الفريضة لا يستأذهما إلا إذا لم يكن لهما سواه ، وفيه بيان مكانة الوالدين وفضل برهما . قال النووي: أجمع العلماء على الأمر ببر الوالدين ، وأن عقوقهما حرام من الكبائر.

(٣) سنن أبي داود — كتاب الجهاد رقم ٢٥٣٠ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه وحي الحديث تحت عنوان الوالدان:

واعطف على أبويك واعلم أنما	رأياه منـك تـراه مـن أبناكـا
واخفض جناح مذلة لهمـا ولا	تنـهرهما فكلاهمـا ربـاكـا
وكن المطيع إذا دعيت لصالح	ولطـالح كـلاً ولـو جهـداكا
وأطعمهما في شبهة إذ تركهـا	ورع ومـن حقيهمـا إرضـاكا
وإذا هما قضيا فصل عليهمـا	واستغفرنْ لهمـا وصـل قرباكـا
أكرم صديقهما وزر قبريهمـا	وتصـدقن واعمـل بمـا أمراكـا
واعلم بأنك إن لعنت أبا امرئ	من غير ماشـك لعنـت أباكـا
لا بد من رد اللعان فمن يطـق	جهراً وإلا كـان مَـنْ أَخْفَاكَـا

٢٧٨ - الخيل

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " الْخَيْلُ ثَلاثَــةٌ[١] هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَــهُ وِزْرٌ: فَرَجُــلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً[٢] عَلَى أَهْلِ الأَسْلامِ فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ .

وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ[٣] ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي ظُهُورِهَا وَلا رِقَابِهَا[٤] فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ .

وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لأَهْلِ الإِسْلامِ فِي مَرْجٍ[٥] أو وَرَوْضَةٍ فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ إِلا كُتِبَ لَهُ عَدَدُ مَــا أَكَلَتْ حَسَنَاتٌ وَكُتِبَ لَهُ عَدَدُ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا حَسَنَاتٌ وَلا تَقْطَــعُ طِوَلَهَــا[٦]

---

(١) الخيل ثلاثة : أي بالنسبة لنية أصحابها وأعمالهم .

(٢) نواء: عداء .

(٣) ربطها في سبيل الله : أي أعدها للجهاد عليها .

(٤) قال النووي: استدل به أبو حنيفة رحمه الله على وجوب الزكاة في الخيل وتأوله الجمهور على أن المراد أنه يجاهد بها وقد يجب الجهاد بها إذا تعين ، وقيل المــراد بظهورها إطراق فحلها إذا طلبت عاريته وهذا على الندب ، وقيل المراد بحق الله مما يكسبه من العدو على ظهورها وهو خمس الغنيمة.

(٥) المرج : الأرض الواسعة ذات نبات كثير يمرج فيه الدواب أي تخلــى وتســرح مختلطة كيف تشاء ، والروضة : الأرض ذات الزهور .

(٦) طولها: حبلها والمراد به الحبل الطويل يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره، والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه ويرعى ولا يذهب لوجهه ويقال له الطول، وأطال وطول بمعنى شدها في الحبل.

فَاسْتَنَّتْ[1] شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ إِلا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ وَلا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا إِلا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَدَدَ مَا شَرِبَتْ حَسَنَاتٍ[2] ".

رواه الخمسة إلا أبا داود [3].

---

(١) قوله: " فاستنت شرفا أو شرفين: أي جرت، قال أبو عبيدة : الاستنان أن يحضر الفرس وليس عليه فارس وقال غيره : استن في طويله أ ي مرج فيه من النشاط، وقال ثابت : الاستنان أن تلج في عودها ذاهبة وراجعة ، وقيل هو الجري إلى فوق، والشرف بفتح الشين هو العالي من الأرض.

(٢) قال النووي : هذا من باب التنبيه ؛ لأنه إذا كان يحصل له هذه الحسنات من غير قصد فمع القصد أولى بأضعاف الحسنات .

(٣) صحيح البخاري رقم ٢٨٦٠، صحيح مسلم – الزكاة رقم ٩٨٧، سنن النسائي ج ٦ ص ٩٦ ، التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٣٤٩ .

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه وحي الحديث من قصيدة الحث على الجهاد:

وأَعِدَّ ما تستطِيعُهُ من قوة ... تُرهب به أعداءه وعِداكا

وتكونَ حيث حللت صاحبَ عِزَّةٍ ... وَتُهَابُ بُعِّدَ أو دنا مثواكا

واغلظ عليهم واستعنه وعونه ... للمتقين يُذِلُّ من ناواكا

وتُعَنْ عَليه وما بصدرك من أذى ... منه يزول ومنه ما أشفاكا

لا عز للإسلام إلاّ بالوغى ... فيه فلازم ما استطعت وغاكا

وإذا عجزت فجهزنَّ مغازياً ... أو فاخلِفَنْه تكونُ ما أغزاكا

٢٧٩ - الراحلة الملعونة

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَسَمِعَ لَعْنَةً فَقَالَ: (مَا هَذِه؟) قَالُوا: هَذِه فُلانَةُ لَعَنَتْ رَاحِلَتَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ضَعُوا عَنْهَا[1]. فَإِنَّهَـا مَلْعُونَـةٌ[2]). فَوَضَعُوا عَنْهَا، قَالَ عِمْرَانُ بن حصين ﷺ : فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا نَاقَةً وَرْقَاءَ [3].

رواه أبو داود ومسلم [4].

ولفظه: فكأَنِّي أراها تَمْشِي في الناسِ مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ [5].

---

(١) ضعوا عنها: أي أنزلوا رحلها عنها فإنها ملعونة أي استجيبت فيها الدعوة فـلا يركبها أحد، وقال هذا عقوبة لصاحبتها لئلا تعود للعن فهو حرام ، وفي رواية : (لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة) .

(٢) قال النووي: إنما قال هذا زجراً لها ولغيرها ، وكان قد سبق نهيها ونهي غيرهـا عن اللعن، فعوقبت بإرسال الناقة.

(٣) ورقاء: أي يخالط بياضها سواد، وقيل: هي التي لونها كلون الرماد.

(٤) صحيح مسلم – كتاب البر رقم ٢٥٩٠، سنن أبي داود ، الجهاد ٢٥٦١، التاج ج ٤ ص ٣٥١ .

(٥) ما يعرض لها أحد، أي لا لأخذها ولا لرُكوبها- كراهة فيما لعن .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه وحي الحديث من قصيدة (من أخطاء اللسان):

لا تلعنن معيناً – لا تمكرن	لا تفشين سراً ففيه أذاكا
واهجر مخالفة الإله جميعَها	واهجر لكلِّ مخالف مولاكا

٢٨٠ - الجمل الشاكي إلى رسول الله ﷺ

دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأَى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ[١] فَسَكَتَ فَقَالَ: (مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟) فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّه. قَالَ: (أَفَلا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ[٢]).

رواه أبو داود[٣].

---

(١) ذفراه: مؤخرة رأسه أو أصل ذنبه.

(٢) تدئبه: أي تتعبه بكثرة العمل . قال صاحب التاج: فلما دخل النبي ﷺ البستان ورآه الجمل بكى فمسح النبي ﷺ على رأسه واستدعى صاحبه فلما حضر قال: اتق الله في هذا الحيوان الأعجم فإنه شكا لي من الجوع وكثرة التشغيل.

(٣) التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٢٥٣ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه بشرى العاشقين (من معجزاته ﷺ):

والظبي عاذت به من شرِّ صائدها ... والفحل لاذ به من مالك حُطَمِ[١]

---

(١) حطم: شديد .

٢٨١ - النبي ﷺ يسابق السيدة عائشة

عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا قالت: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ: (هَـذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ [1]).

رواه أبو داود بسند صالح[2].

---

(١) فيه جواز المسابقة على الأرجل دون مال.

(٢) سنن أبي داود – كتاب الجهاد رقم ٢٥٧٨.

في هذا الحديث ملاطفة النبي ﷺ لأهل بيته وتواضعه الجم.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه حكم شاعر الرسول ﷺ ج٤ ص٢٥:

أرى حُسن الأخلاق في حُسنِ عِشْرة ... على الزوج للزوجات في الحرب والسلمِ

وما حُسن الأخلاق في الكف عن أذىً ... ولكنه في الاحتمال وفي الحلم

وأكملُ منه أن يُداعِبَ أهلَهُ ... ليدفعَ مَا في قَلْبِهِنَّ من الغمِّ

٢٨٢ - ارموا فأنا معكم كلكم

عن سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: مَرَّ النبيُّ ﷺ عَلَى نَفرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ[١] فَقَالَ: (ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ[٢] كَانَ رَامِيًا، ارْمُوا وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلانَ[٣]) فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ[٤]. فَقَالَ: (مَا لَكُمْ لا تَرْمُونَ؟). قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ! قَالَ: (ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ[٥]).

وفي يوم بدر حينَ اصطفُّوا لقتالِ قُرَيْشٍ قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا أَكْثَبُوكُمْ[٦] فَعَلَيْكُمْ بِالرَّمْيِ). رواه البخاري .

ولأَصْحاب السُّنَنِ[٧]: (إِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ[٨] ثَلاثَةً الْجَنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ[٩] وَالرَّامِيَ بِهِ وَالْمُمِدَّ بِهِ[١٠]).

---

(١) على نفر من أسلم: أي من قبيلة أسلم، ينتضلون: يترامون بالنضال والسهام. ونضل فلان فلاناً إذا غلبه

(٢) أباكم: إسماعيل عليه السلام.

(٣) وفي رواية: (وأنا مع محجن بن الأدرع).

(٤) وهو المناضل لابن الأدرع. واسمه: نضلة الأسلمي. وفي رواية: (فقال نضلة - وألقى قوسه من يده-: والله لا أرمي معه وأنت معه).

(٥) المعية في حسن النية وقصد الخير للأمة.

(٦) أكثبوكم: أي قربوا منكم فارموهم بالنبل فإنه يشردهم .

(٧) رواه البخاري، سنن الترمذي- كتاب فضائل الجهاد رقم ١٦٣٧، سنن النسائي ج ٦ ص ٢٨، مسند أحمد ج ٤ ص ٣٨٤، التاج ج ٤ ص ٣٥٨ .

(٨) ليدخل بالسهم الواحد: أي بسبب رميه على الكفار .

(٩) يحتسب في صنعته الخير : أي يطلب لذلك السهم الثواب.

(١٠) الممدَّ به : من الإمداد، قال في المجمع: الممد به . أي من يقوم عند الرامي ويناوله سهما بعد سهم ، أو يرد عليه النبل من الهدف . مأخوذ من أمددته بكذا إذا أعطيته إياه .

وَقَالَ: (ارْمُوا وَارْكَبُوا[١]. وَلأنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا[٢]).
وللترمذي[٣]: (مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ لَهُ عَدْلُ مُحَرَّرٍ[٤]) .

---

(١) ارموا واركبوا: أي تمرنوا على الرمي وركوب الخيل ، والمعنى : اعلموا هذه الفضيلة وتعلموا الرمي والركوب بتأديب الفرس والتمرين عليه وقال الطيبي: عطف واركبوا يدل على المغايرة وأن الرامي يكون راجلاً والراكب رامحاً .

(٢) قوله : " ولأن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا " معناه أن الرمي بالسهم أحب إليّ من الطعن بالرمح، وقال القاري: الأظهر أن معناه أن معالجة الرمي وتعلمه أفضل من تأديب الفرس والتمرين على ركوبه لما فيه من الخيلاء والكبرياء ، ولما في الرمي من النفع العام ، ولذا قدمه تعالى في قوله : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ مع أنه لا دلالة في الحديث على الرمح أصلاً .
وقال القرطبي: إنما فسر القوة بالرمي وإن كانت القوة تظهر بإعداد غيره من آلات الحرب لكون الرمي أشد نكاية في العدو وأسهل مؤنة ؛ لأنه قد يرمي رأس الكتيبة فيصاب فينهزم مَنْ خلفَهُ.

(٣) سنن الترمذي – كتاب فضائل الجهاد رقم ١٦٣٨ .

(٤) قوله : " فهو له عدل محرر " أي مثل ثواب معتق.

يؤخذ من هذه الأحاديث:

- جواز التسابق أثناء التدريب على أعمال الجهاد.
- أن الجَدَّ الأعلى يسمى أباً.
- التنويه بذكر الماهر في صناعته وتطييب قلوب من هم دونه.
- حُسْنُ خلق النبي ﷺ.
- وفيه الندب إلى اتباع خصال الآباء المحمودة والعمل بمثلها.
- حسن أدب الصحابة مع النبي ﷺ .
- عظم ثواب كل من شارك في الجهاد ولو بيسير من العمل.
- الحث على إتقان جميع فنون القتال واستخدام أفضلها توصلاً للنصر.

٢٨٣ - لن أستعين بمشرك

عَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ بَدْرٍ فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ[١]. أَدْرَكَهُ رَجُلٌ يُذْكَرُ بِالْجُرْأَةِ وَالنَّجْدَةِ فَفَرِحَ الأَصْحَابُ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جِئْتُ لأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ[٢]. فَقَالَ: (تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ). قَالَ: لا. قَالَ: (فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ). ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَرَدَّ عليه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالمرة الأولى ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَنَا بِالْبَيْدَاءِ فَقَالَ كالأول. فقال له النبيِّ ﷺ: (تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ: (انْطَلِقْ[٣]).

رواه مسلم وأبو داود والترمذي[٤].

---

(١) حرة الوبرة: موضع على بعد أربعة أميال من المدينة.

(٢) أصيب معك: آخذ من الغنيمة.

(٣) فلما أسلم المشرك أذن له النبي ﷺ بالقتال معهم ومن قبل لم يأذن له فلا يستعان في الجهاد بمشرك.

وقال النووي: وقد جاء في الحديث الآخر: أن النبي ﷺ استعان بصفوان بن أمية قبل إسلامه " فأخذ طائفة من العلماء بالحديث الأول على إطلاقه، وقال الشافعي وآخرون: إن كان الكافر حسن الرأي في المسلمين، ودعت الحاجة إلى الاستعانة به استُعين به، وإلا فيكره، وحمل الحديثين على هذين الحالين، وإذا حضر الكافر بالإذن رضخ له، ولا يسهم له، هذا مذهب مالك، والشافعي وأبي حنيفة والجمهور، وقال الزهري والأوزاعي: يسهم له.

(٤) صحيح مسلم – كتاب الجهاد رقم ١٨١٧، سنن أبي داود رقم ٢٧٣٢، سنن الترمذي – كتاب السير رقم ١٥٥٨، التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٣٥٩.

٢٨٤ - أصل الجهاد للدِّين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: (أُمِرْتُ(١) أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ(٢) حَتَّى يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ(٣)- فَمَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ إِلا بِحَقِّــهِ(٤)

---

(١) قوله ﷺ: " أمرت " أي أمر من الله لأنه لا أمر لرسول الله ﷺ إلا من الله ، وقياسه في الصحابي إذا قال : أمرت ، فالمعنى أمرني رسول الله ﷺ ، ولا يحتمل أن يريد أمرني صحابي آخر لأنهم من حيث أنهم مجتهدون لا يحتجون بأمر مجتهد آخر، وإذا قاله التابعي احتمل، والحاصل أن من اشتهر بطاعة رئيس إذا قال ذلك فهم منه أن الآمر له هو ذلك الرئيس .

(٢) أن أقاتل الناس: أي أن أقاتلهم ، والمراد بالناس هنا المشركين من عبدة الأوثان لا أهل الكتاب .

(٣) أي حتى يقروا بذلك وينطقوا بمضمونه .

وفي رواية : " حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به " .

وعند مسلم : " حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة " .

قال الحافظ: جعلت غاية المقاتلة وجود ما ذكر فمقتضاه أن من شهد وأقام وآتى عصم دمه ولو جحد باقي الأحكام ، والجواب أن الشهادة بالرسالة تتضمن التصديق بما جاء به مع أن نص الحديث وهو قوله: " إلا بحق الإسلام " يدخل فيه جميع ذلك.

(٤) إلا بحقه : أي حق الإسلام " كإقامة حد الردة ونحو زنا وغيرهما وترك صلاة وزكاة ، وحق آدمي فلا بد منها .

قال القاري: إلا بحق الإسلام أي دينه ، والمعنى إذا فعلوا ذلك لا يجوز إهدار دمائهم واستباحة أموالهم بسبب من الأسباب إلا بحق الإسلام من استيفاء قصاص نفس أو طُرُق إذا قتل أو قطع ، ومِن أخْذ مالٍ إذا غَصَب إلى غير ذلك من الحقوق الإسلامية كقتل لنحو زنا محصن ، وقطع لنحو سرقة ، وتغريم مال لنحو إتلاف مالِ الغيرِ المحترمِ .

وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ[١]). رواه الخمسة [٢].

وعن أنس ﷺ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنْ يَسْتَقْبِلُوا قِبْلَتَنَا[٣]. وَأَنْ يَأْكُلُوا ذَبِيحَتَنَا وَأَنْ يُصَلُّوا صَلاتَنَا فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلا بِحَقِّهَا[٤] لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى المسلمين[٥]).

رواه أصحاب السنن بسند صحيح [٦]

---

(١) وحسابه على الله: أي فيما يُسِرُّه ويبطنه ، والمعنى إنا نحكم بظاهر الحال والإيمان القولي ونرفع عنهم ما على الكفار ونؤاخذهم بحقوق الإسلام بحسب ما يقتضيه ظاهر حالهم – لا بأهم مخلصون – والله يتولى حساهم فيثيب المخلص ويعاقب المنافق ويجازي المسر بفسقه أو يعفو عنه .
وقال ابن علان: إن الشارع إنما أمر بإجراء الأحكام على الظواهر وتفويض أمر البواطن إلى عالم السرائر فيحاسبهم على ذلك .

(٢) صحيح البخاري – كتاب الجهاد والسير رقم ٢٩٤٦، صحيح مسلم – الإيمان رقم ٣٢ ، سنن أبي داود رقم ١٥٥٦، سنن الترمذي ، الإيمان رقم ٢٦٠٦،سنن ابن ماجة – الفتن رقم ٣٩٢٧ .

(٣) قوله : " وأن يستقبلوا قبلتنا " إنما ذكره مع اندراجه في الصلاة في قوله " وأن يصلوا صلاتنا " لأن القبلة أعرف ، إذ كل أحد يعرف قبلته ، وإن لم يعرف صلاته ، ولأن في صلاتنا ما يوجد في صلاة غيرنا واستقبال قبلتنا مخصوصة بنا ، ولم يتعرض للزكاة وغيرها من الأركان اكتفاء بالصلاة التي هي عماد الدين أو لتأخر وجوب تلك الفرائض عن زمن صدور هذا القول .

(٤) إلا بحقها : أي كلمة التوحيد، وفي حديث ابن عمر : فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام .

(٥) أي لهم ما للمسلمين من النفع وعليهم ما على المسلمين من المضرة .

(٦) سنن الترمذي – كتاب الإيمان رقم ٢٦٠٨ ، سنن أبي داود – الجهاد رقم ٢٦٤١، سنن النسائي رقم ٣٩٦٧، سنن ابن ماجة – المقدمة ٧٢ .

٢٨٥ – من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة

عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ – رضي الله عنهما– قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً إِلَى الْحُرَقَاتِ[١] فَنَذِرُوا[٢] بِنَا فَهَرَبُوا فَأَدْرَكْنَا رَجُلاً فَلَمَّا غشيناهُ قَالَ: لا إِلَهَ إلا اللَّـهُ فَضَرَبْنَاهُ حَتَّى قَتَلْنَاهُ فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (مَنْ لَكَ[٣] بلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا مَخَافَةَ السِّلاحِ[٤]. قَالَ: (أَفَلا

(١) الحرقات : قبائل من جهينة.

(٢) فنذروا بنا : علموا بنا.

(٣) من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة : أي من يعينك على كلمة التوحيد إذا جاءت تجادل عن قائلها يوم القيامة . أو من يحاج عنك ويجادل إذا جيء بكلمة التوحيد يوم القيامة.

(٤) قوله : " إنما قالها مخافة السلاح " أي لا إيمانا حقيقياً ، وفي رواية " قلت يا رسول الله: إنما كان متعوذاً. أي إنما أعاذ وأراد حقن دمه بالتلفظ بها لا الإسلام حقيقة ، قال ابن علان : ولعل أسامة قام عنده ما علم به ذلك حتى أقدم على قتله فكان متأولاً باستصحاب كفره وعدم النفع بما أتاه ؛ لأنه لم يكن عن حقيقة ، ولم يتمكن من السؤال عن حكم ذلك فوقع في ذلك ، وهو غير آثم باعتبار أن ذلك هو الحكم بالنسبة إليه ، ولكن لما وردت الشريعة بإجراء الأحكام على الظواهر لم يكن ذلك التأويل مؤثراً في جواز قتله في نفس الأمر له فقرر النبي ﷺ المنع من ذلك بأبلغ وجه وآكده ليزيل ما في نفسه من تلك الشبهة وليبين وجوب الانكفاف عمن كان كذلك فكان تأويله مانعا من القود ؛ لأنه قتله بظن كفره ، كما يدل عليه قوله : " إنما قالها خوفاً من السيف " بخلاف الكفارة، وسكوته ﷺ من باب تأخير البيان لوقت الحاجة.

شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِه[١] حَتَّى تَعْلَمَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَالَهَا أَمْ لا. مَنْ لَكَ بِلا إِلَهَ إِلا اللَّـهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟) فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أُسْلِمْ إِلا يَوْمَئِذٍ[٢].

رواه أبو داود ومسلم[٣].

---

(١) أي هلا شققت عن قلبه لتعلم أنه كذلك ، أوَلاَ تعي أن الإيمان الحقيقي خفي محله القلب لا يطلع عليه إلا الرب ، والأحكام إنما تناط بالظواهر؟ فإذا كنت غير مكلف بها فهلا شققت عن قلبه واطلعت على ما فيه من صدق أو نفاق.

(٢) حتى وددت أني لم أسلم إلا يومئذ " معناه لم يكن تقدم إسلامي بل ابتدائه الآن ليمحو عني ما تقدم ، وقال النووي: هذا الكلام من عظم ما وقع فيه ،وقال ابن رسلان : وكأنه استصغر ما كان منه قبلُ: من الإسلام والعمل الصالح في جنب ما ارتكبه من هذه الجناية لما حصل في نفسه من شدة إنكار النبي ﷺ وتعظيمه لذلك. وفي حاشية الكشاف : تمنى إسلاما خالياً عن الإثم لا عدم الإسلام فلا إشكال . أ.هـ.

(٣) صحيح مسلم – كتاب الإيمان – رقم ١٥٨ ، سنن أبي داود رقم ٢٦٤٣.

٢٨٦ - تحذير النبي ﷺ من قَتْلِ من قال: لا إله إلا الله

عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ ﷺ قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلاً مِنَ الْكُفَّارِ فَاقْتَتَلْنَا فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ ثُمَّ لاذَ مِنِّي[١] بِشَجَرَةٍ فَقَالَ: أَسْلَمْتُ لِلَّهِ[٢] أَفَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا[٣]؟. قَالَ:(لا تَقْتُلْهُ[٤]) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ قَطَعَ يَدِي. قَالَ: (لا تَقْتُلْهُ فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ[٥]).

---

(١) لاذ مني: أي اعتصم ، وقال القرطبي: أي استتر. فقال لاذ يلوذ لواذا إذا استتر ، والملاذ ما يستتر به وفي لاذ يلوذ ومصدره اللواذ أي التجأ .

(٢) أسلمت لله : أي دخلت في الإسلام من قول أو فعل حُكِمَ له لذلك بالإسلام ، وأنه ليس مقصوراً على النطق بكلمتي الشهادة ، وقدحَكَمَ ﷺ بإسلام بني خزيمة الذين قتلهم خالد بن الوليد بما يقولون: صبأنا صبأنا. ولم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال : " اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد " ثلاث مرات رافعاً يديه إلى السماء ثم وداهم : أي دفع لهم الدية .

(٣) أي: أأقتله بعد أن قالها وأحمل ذلك منه على الخشية لا على الحقيقة .

(٤) قال ابن علان في قوله ﷺ : " لا تقتله " بيان لجريان الأحكام الشرعية على مقتضى الظاهر .

(٥) أي فإنه في منزلتك في عصمة دمه قبل أن تقتله ، وأنت بمنزلته في إباحة الدم قبل أن يسلم فمن نطق بكلمة التوحيد فقد عصم نفسه من كل شيء إذا قام بشعائر الدين .

قال القاضي عياض: وقيل معناه إنك مثله في مخالفة الحق وارتكاب الإثم ، وإن اختلفت أنواع المخالفة والإثم، فيسمى إثمه كفراً ، وإثمك معصية وفسقاً .

قال النووي: ومعنى أنه بمنزلتك : أي معصوم الدم محكوم بإسلامه ، ومعنى إنك بمنزلته أي مباح الدم بالقصاص لورثته لا أنه بمنزلته في الكفر .

رواه الثلاثة أبو داود والبخاري ومسلم[١].

---

(١) صحيح البخاري رقم ٤٠١٩، ٦٨٦٥، صحيح مسلم - كتاب الإيمان - رقم ١٥٥ ، سنن أبي داود رقم ٢٦٤٤.

وفي الحديث استدلال على صحة إسلام من قال أسلمت لله و لم يزد على ذلك وفيه جواز السؤال عن النوازل قبل وقوعها للتحرز منها ، وأما ما نقل عن بعض السلف من كراهة ذلك فهو محمول على ما يندر وقوعه وأما ما يمكن وقوعه عادة فيشرع السؤال عنه ليعلم.

٢٨٧ - الدعوة قبل القتال

عن بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ(١). أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا(٢). ثُمَّ قَالَ: (أغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا(٣). وَإِذَا لَقِيتَ(٤) عَدُوَّكَ مِنَ

---

(١) الجيش أربعة آلاف مجاهد، والسرية أربعمائة. جاء في حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : خير السرايا أربعمائة ، وخير الجيوش أربعة آلاف" رواه أحمد وأبو داود، ومسند أحمد ج ١ ص ٢٩٤ ، سنن أبي داود والجهاد رقم ٢٦١١.
وقال النووي: السرية قطعة من الجيش تخرج منه وتغير وترجع إليه ، وقال إبراهيم الحربي: هي الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها. قالوا : وسميت سرية لأنها تسري في الليل ويخفي ذهابها. يقال سرى وأسرى إذا ذهب ليلاً .

(٢) أي وصاه بتقوى الله، وأوصاه بالمسلمين خيراً، قال الطيبي: (من) في قوله (ومن معه من المسلمين) في محل الخبر ومن باب العطف على عاملين مختلفين .
كأنه قيل : أوصى بتقوى الله في خاصة نفسه ، وأوصى بخير في من معه من المسلمين ، وفي اختصاص التقوى بخاصة نفسه ، والخير بمن معه من المسلمين إشارة إلى أن عليه أن يشد على نفسه فيما يأتي ويذر، وأن يسهل على من معه من المسلمين ويرفق بهم كما ورد في الحديث : " يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا " .

(٣) لا تغلوا: لا تخونوا في الغنيمة ، ولا تغدروا : لا تنقضوا عهداً ولا تمثلوا : لا تشوهوا القتلى بقطع الأنوف والآذان ونحوها ، ولا تقتلوا وليداً أي صبياً وكذا الشيخ الكبير والمرأة ؛ لأنهم لا يقاتلون .

(٤) الخطاب في قوله : " وإذا لقيت " لأمير الجيش، قال الطيبي: هو من باب تلوين الخطاب؛ خاطب أولاً عاماً فدخل فيه الأمير دخولاً أولياً ثم خص الخطاب به فدخلوا فيه على سبيل التبعية .

الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاثِ خِصَالٍ[١] فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ: ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ[٢] مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ[٣]. فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ[٤] الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ[٥]. فَإِنْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ[٦]. فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا

---

(١) وهي الإسلام ، والهجرة ، وإلا فالجزية .

(٢) أي من دار الكفر إلى دار الإسلام ، قال صاحب تحفة الأحوذي : وهذا من توابع الخصلة الأولى ، بل قيل إن الهجرة كانت من أركان الإسلام قبل فتح مكة.

(٣) معنى : (فلهم ما للمهاجرين) : أي الثواب واستحقاق مال الفيء ، (وعليهم ما على المهاجرين) : من الغزو .

(٤) الأعراب: أهل البادية وحكم الله فيهم أنهم ليس لهم من الغنيمة شيء إلا إذا جاهدوا .

(٥) قال النووي: معنى هذا أنهم إذا أسلموا استحب لهم أن يهاجروا إلى المدينة ، فإن فعلوا ذلك كانوا كالمهاجرين قبلهم في استحقاق الفيء والغنيمة، وإلا فهم أعراب كسائر أعراب المسلمين الساكنين في البادية من غير هجرة ولا غزو، فتجرى عليهم أحكام الإسلام ، ولا حق لهم في الغنيمة والفيء وإنما لهم نصيب من الزكاة إن كانوا بصفة استحقاقها.

(٦) فإن أبوا فسلهم الجزية : لعل هذا قبل تخصيصها بأهل الكتاب كما في سورة التوبة .

فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَـأَرَادُوكَ[١] أَنْ تَجْعَـلَ لَهُـمْ ذِمَّةَ[٢]. اللَّه وَذِمَّةَ نَبِيِّه فَلا تَجْعَلْ لَهُمْ ذلكَ[٣]. وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَـكَ وَذِمَّـةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا[٤] ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِه وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّه فَلا تَقْبَلْ منهم وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِـيهِمْ أَمْ لا [٥]). رواه الخمسة إلا البخاري [٦].

---

(١) أرادوك : أي طلبوا منك .

(٢) الذمة : العهد .

(٣) قال النووي: لا تجعل لهم ذمة الله فإنه قد ينقضها من لا يعرف حقها وينتـهك حرمتها بعض الأعراب وسواد الجيش .

(٤) الإخفار: نقض العهد يقال أخفرت الرجل إذا نقضت عهده وخفرتـه أمَّنتـه وحميته .

(٥) المراد التحرز عن عهد الله وحكمه احتراماً لهما ، وقال النووي : هذا النهي أيضاً على التتريه والاحتياط ، وفيه حجة لمن يقول : ليس كل مجتهـد مصـيباً بـل المصيب واحد وهو الموافق لحكم الله تعالى في نفس الأمر.

وفي الحديث من الفوائد : تحريم الغدر ، وتحريم الغلول، وتحريم قتل الصـبيان إذا لم يقاتلوا ، وكراهة المثلة ، واستحباب وصية الإمام أمراءه وجيوشه بتقوى الله تعالى ، والرفق بأتباعهم ، وتعريفهم ما يحتاجون في غزوهم وما يجب عليهم، وما يحل لهم وما يحرم عليهم وما يكره وما يستحب.

(٦) صحيح مسلم – كتاب الجهاد رقم ١٧٣١، سنن الترمذي – كتاب السير رقم ١٦١٧، سنن أبي داود والجهاد رقم ٢٦١٢، سنن ابن ماجة – الجهـاد رقـم ٢٨٥٨، التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٣٦٦ .

٢٨٨ - سلمان الفارسي ومحاصرته قصراً فارسياً

حَاصَرَ أَحَدُ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ قَصْرًا مِنْ قُصُورِ فَارِسَ وَكَانَ الأَمِيرَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ فَقَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَلا تَنْهَدُ إِلَيْهِمْ [١] قَالَ دَعُونِي [٢] أَدْعُهُمْ كَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوهُمْ فَأَتَاهُمْ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ فَارِسِيٌّ، والْعَرَبُ يُطِيعُونَنِي فَإِنْ أَسْلَمْتُمْ فَلَكُمْ مِثْلُ الَّذِي لَنَا [٣] وَعَلَيْكُمْ ما عَلَيْنَا [٤]. وَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلا دِينَكُمْ تَرَكْنَاكُمْ عَلَيْهِ وَأَعْطُونَا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ [٥] وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ [٦]. قَالَ: وَرَطَنَ إِلَيْهِمْ بِالْفَارِسِيَّةِ [٧]. وَأَنْتُمْ غَيْرُ مَحْمُودِينَ [٨]. وَإِنْ أَبَيْتُمْ نَابَذْنَاكُمْ عَلَى سَوَاءٍ [٩]. قَالُوا مَا نَحْنُ بِالَّذِي يُعْطِي الْجِزْيَةَ وَلَكِنَّا نُقَاتِلُكُمْ. قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَلا تَنْهَدُ إِلَيْهِمْ.

---

(١) تنهد إليهم : تأمر الجيش بالزحف .

(٢) دعوني: أي اتركوني .

(٣) أي من الغنيمة والفيء .

(٤) وعليكم ما علينا : أي من أحكام المسلمين من الحدود ونحوها .

(٥) وأعطونا الجزية عن يد: حال من الضمير أي عن يد مواتية بمعنى منقادين ، أو عن يدكم يعني مسلّمين بأيديكم غير باعثين بأيدي غيركم ، أو عن غنى ولذلك لا تؤخذ من الفقير. أو حال من الجزية بمعنى نقداً مسلّمة عن يد إلى يد ، أو عن إنعام عليكم فإن إبقاءكم بالجزية نعمة عظيمة .

(٦) صاغرون: ذليلون .

(٧) ورطن إليهم بالفارسية : أي تكلم بها .

(٨) قال صاحب التاج: قال هذه الكلمة لهم بالفارسية .

(٩) نابذناكم : أي أعلمناكم به وقاتلناكم . قال الجزري في قوله : وإن أبيتم نابذناكم على سواء أي كاشفناكم وقاتلناكم على طريق مستوٍ في العلم بالمنابذة منا ومنكم بأن نظهر لهم العزم على قتالهم ونخبرهم به إخباراً مكشوفاً ، والنبذ يكون بالفعل والقول في الأجسام والمعاني ، ومنه نبذ العهد إذا نقضه وألقاه إلى من كان بينه وبينه.

قَالَ: فَدَعَاهُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَى مِثْلِ هَذَا[١]. ثُمَّ قَالَ انْهَدُوا إِلَيْهِمْ. قَالَ فَنَهَدْنَا إِلَيْهِمْ فَفَتَحْنَا ذَلِكَ الْقَصْرَ. رواه الترمذي [٢].

(١) فيه طلب الدعوة ثلاثة أيام رحمة بهم لعلهم يسلمون .

(٢) سنن الترمذي — كتاب السير رقم ١٥٤٨ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه وحي الحديث تحت عنوان الجهاد (شتان ما بين الإسلام والأمم السالفة فيه):

وإذا ابتغوا سلما فسالمهم ولو ... مكروا وحسبك قادر قوّاكا
يُدْعَون للدين الحنيف فإن أبوا ... فلجزية فإذا أبوا فعراكا
وعليهمو ولهم إذا رضخوا لها ... ما للموحد والعقاب هناكا
ما كنت بدعاً فالألى سبقوك منْ ... رسلي بإذني جاهدوا أعداكا
أفلم يجاهد في إبراهيم مَنْ ... كفروا وأوسعهم به إهلاكا
موسى وهارون ويوشع جاهدوا ... واسأل يهود فعندها إفتاكا
وخليفتي داود جاهد وابنه ... من كانت الدنيا له أملاكا
وابن البتول يقول: لم أبعث لكم ... سلْمًا ولكن بالقتال دراكا
ولو استقام له النصير لشبّها ... وأباد أهل الشرك والإشراكا
ما بين حرب محمد وحروبهم ... بَوْنٌ كأرضك هذه وسماكا
حرب تبيد مسالماً ومحارباً ... وَنِسًا وطفلاً لا يطيق عراكا
ومحمد وصَّى بمن شنَّ الوغى ... خيراً فنعم وصية وصاكا
لا تتبعن موليا فيها ولا ... تقتل بها الأطفال والنُّسَّاكا
لا تقتلن الشيخ والأنثى إذا ... لم يوقدا بالرأي نارَ وغاكا
لا تجهزن على الجريح ووفين ... منك العهود ولا تغل يداكا
إياك والتمثيل بالقتلى فما ... خير به للدين أو دنياكا
واقتل أسارى الحرب أو خذ جزية ... أو فدية أو هم فدا أسراكا

٢٨٩ – الممدوح من الغيرة والمذموم

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ ﷺ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ: فَأَمَّا الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ عزَّ وجَلَّ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ[١]. وأَمَّا الَّتِي يُبْغِضُهَا اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ الرِّيبَةِ، وَإِنَّ مِنَ الْخُيَلاءِ مَا يُبْغِضُ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يُحِبُّ اللَّهُ: فَأَمَّا الْخُيَلاءُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ فَاخْتِيَالُ الرَّجُلِ عِنْدَ اللقاء[٢]. وَاخْتِيَالُهُ عِنْدَ الصَّدَقَةِ[٣]. وَأَمَّا الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهُ فَاخْتِيَالُهُ فِي الْبَغْيِ وَالْفَخْرِ[٤].

رواه أبو داود[٥].

---

(١) في الريبة: أي في الشك وعلامات الشر .

(٢) أي عند الحرب ففيه تشجيع لغيره .

(٣) لدلالته على السماحة وربما كان فيه تشجيع لغيره على الصدقة .

(٤) الظلم والتفاخر على المساكين .

(٥) التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٣٧١ .

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه وحي الحديث (أيها الحر):

لا تَخْلُوَنَّ بغادة فيغرها ... بك من يَغُر كما بها أغراكا

وامنع حَماك دخول بيتك إنه ... موت حماك الله شر حماكا

إن لم تَغرْ فيما يريب فلست ذا ... شرف وفي الدارين ما أخزاكا

لا تُبْصِرَنَّ نساك من رجل سوى ... رجل أبيح له لقاء نساكا

دن من تشاء بما تشاء فما به ... دائنته لا بد منه وفاكا

٢٩٠ – الله أكبر وفاءٌ لا غدرٌ

كَانَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَبَيْنَ أَهْلِ الرُّومِ عَهْدٌ، وَكَانَ يَسِيرُ فِي بلادهمْ[١] فلما انْقَضَى الْعَهْدُ[٢]. أَغَارَ عَلَيْهِمْ فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَفَاءٌ لا غَدْرٌ[٣]. وَإِذَا هُوَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ[٤]. فَسَأَلَهُ مُعَاوِيَةُ[٥]فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلا يَحُلَّنَّ عَهْدًا وَلا يَشُدَّنَّهُ[٦].حَتَّى يَمْضِيَ أَمَدُهُ[٧] أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ

---

(١) أي يذهب معاوية قبل انقضاء العهد ليقرب من بلادهم حين انقضى العهد .

(٢) فلما انقضى العهد : أي زمانه .

(٣) الغدر: نقض العهد الذي بينك وبين غيرك . ، وقوله " الله أكبر وفاء لا غدر " فيه اختصار وحذف لضيق المقام أي ليكن منكم وفاء لا غدر ، يعني بعيد من أهل الله وأمة محمد ﷺ ارتكاب الغدر ، وللاستبعاد صدر الجملة بقوله الله أكبر.

(٤) عمرو بن عبسة ويقال: عنبسة: كنيته أبو نجيح، أسلم قديما في أول الإسلام، قيل كان رابع أربعة في الإسلام . قال البغوي في شرح السنة : " وإنما كره عمرو بن عنبسة ذلك ؛ لأنه إذا هادنهم إلى مدة وهو مقيم في وطنه فقد صارت مدة مسيره بعد انقضاء المدة المضروبة كالمشروط مع المدة في ألا يغزوهم فيها فإذا سار إليهم في أيام الهدنة كان إيقاعه قبل الوقت الذي يتوقعونه فَعَدَّ ذلك عمرو غدراً ، وأما إن نقض أهل الهدنة بأن ظهرت منهم خيانة فله أن يسير إليهم على غفلة منهم .

(٥) فسأله معاوية : أي سأله معاوية عن دليل ما ذكر .

(٦) فلا يحلن عهداً : أي عقد عهد ، ولا يشدنه : أراد به المبالغة عن عدم التغيير وإلا فلا مانع من الزيادة في العهد والتأكيد، والمعنى لا يغيرن عهداً ولا ينقضه بوجه.

(٧) حتى يمضي أمده : أي تنقضي غايته.

عَلَى سَوَاءٍ [١]). قَالَ: فَرَجَعَ مُعَاوِيَةُ بِالنَّاسِ .

رواه الترمذي وأبو دواد [٢].

---

(١) أو ينبذ إليهم : أي يرمي عهدهم إليهم بأن يخبرهم بأنه نقض العهد على تقدير خوف الخيانة منهم ، وقوله: على سواء : أي ليكون خصمه مساوياً معه في النقض كيلا يكون ذلك منه غدراً لقوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ ﴾. آية ٥٨ من سورة التوبة . قال الطيبي: على سواء : حال. قال المظهر : أي يعلمهم أنه يريد أن يغزوهم وأن الصلح قد ارتفع فيكون الفريقان في علم ذلك سواء .

(٢) سنن الترمذي – كتاب السير رقم ١٥٨٠ – سنن أبي داود رقم ٢٧٥٩.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه وحي الحديث (الوفاء بالوعد، والأمانة):

وإذا وعدت فأوفين وعهده	لا تنقضن فكم به وصاكا
أوفوا بعهد الله يوف بعهدكم	واستمسكوا بعقوده استمساكا
والناس مذ كانوا معونة بعضهم	حقت لبعض والطريق وفاكا
واحفظ أمانته تفوز بحفظه	وتكون في الدراين ما أعلاكا
واعمل بها في حقِّ نفسك والورى	وحقوق خالقك الذي سواكا
مدعاة كل تعاون وتقدم	وفضيلة وبها تنال رجاكا
ما كان إيمان بغير أمانة	وقضى الفلاح لأهلها مولاكا

---

٢٩١ – من معجزاته ﷺ

قَالَتْ عَائِشَةُ– رضي الله عنها: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ(١) لِي فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ (٢).

رواه البخاري (٣).

---

(١) الرف: هو شبه الطاق في الحائط وقال عياض: الرَّفُّ خشب يرتفع عن الأرض في البيت يوضع فيه ما يراد حفظه . وشطر شعير: نصف وسق، والوسق بفتح الواو وسكون السين ستون صاعاً . قال الخليل: الوسق حمل البعير .

(٢) فلما كان الشعير غير معلوم قدره كان المدد منه غير محدود. ومعنى كلته: أي كيَّلته بالمكيال لأعرف مقداره.

(٣) البخاري رقم ٦٤٥١، التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٣٨١ .

قال ابن حجر: والذي يظهر أنه كان من الخصوصية لعائشة – رضي الله عنها– ببركة النبي ﷺ وقد وقع مثل ذلك في حديث مزود أبي هريرة : " أتيت النبي ﷺ بتمرات فقلت : ادع لي فيهن بالبركة. قال: فقبض ثم دعا ثم قال: خذهن فاجعلهن في مزود فإذا أردت أن تأخذ منهن فأدخل يدك فخذ ولا تنثر بهن نثراً ، فحملت من ذلك كذا وكذا وسقاً في سبيل الله وكنا نأكل ونطعم وكان المزود معلقاً بحقوى – أي خصري – لا يفارقه فلما قتل عثمان انقطع) . وفي رواية : (فأدخل يدك فخذ ولا تكفأ فيكفأ عليك). وما وقع أيضاً في عكة المرأة وهو ما أخرجه مسلم من طريق أبي الزبير عن جابر (أن أم مالك كانت تهدي للنبي ﷺ في عكة لها سمناً فيأتيها بنوها فيسألون الأدم فتعمد إلى العكة ، فتجد فيها سمناً فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته . فأتت النبي ﷺ فقال: لو تركتها ما زال قائماً). والكيل عند المبايعة مطلوب من أجل تعلق حق المتبايعين=

=أما الكيل عند الإنفاق فقد يبعث عليه الشح فلذلك كره.

وقال القرطبي: سبب رفع النماء من ذلك عند العصر والكيل – والله أعلم – الالتفات بعين الحرص مع معاينة إدرار نعم الله ومواهب كراماته وكثرة بركاته والغفلة عن الشكر عليها والثقة بالذي وهبها والميل إلى الأسباب المعتادة عند مشاهدة خرق العادة.

ويستفاد منه أن من رزق شيئاً أو أكرم بكرامة أو لطف به في أمر ما فالمتعين عليه موالاة الشكر ورؤية المنة لله تعالى. فلا يحدث في تلك الحالة تغيراً ، والله أعلم.

٢٩٢ – من قتل قتيلاً فله سلبه [١]

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ حُنَيْنٍ [٢] فَلَمَّا الْتَقَيْنَا كَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ [٣] فَرَأَيْتُ رَجُلا مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَد عَلا [٤] رَجُلا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَاسْتَدَرْتُ حَتَّى أَتَيْتُهُ مِنْ وَرَائِهِ فَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ [٥] فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَضَمَّنِي ضَمَّةً وَجَدْتُ مِنْهَا رِيحَ الْمَوْتِ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَأَرْسَلَنِي فَلَحِقْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَقَالَ؟ مَالِلنَّاسِ؟ فقلت : أَمْرُ اللَّهِ [٦]. ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَجَعُوا وَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ [٧] فَلَهُ سَلَبُهُ. فَقُمْتُ فَقُلْتُ: مَنْ يَشْهَدُ لِي [٨] ثُمَّ جَلَسْتُ ثُمَّ قَالَ تلك المقالة. فَقَالَ رَجُلٌ: صَدَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَلَبُهُ عِنْدِي فَأَرْضِهِ عَنِّي. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لاهَا اللَّهِ [٩]. إِذًا لا يَعْمِدُ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أُسْدِ اللَّهِ يُقَاتِلُ عَنِ اللَّهِ

---

(١) سلب القتيل: ما معه من سلاح وثياب وغيرهما ، قال الشافعي: هو أدوات الحرب فقط، وقال أحمد كل شيء معه إلا دابته.

(٢) حنين: واد على ثلاثة أميال من مكة،وكان غزوها في السنة الثامنة عقب فتح مكة.

(٣) جولة: غلبة ثم انهزموا إلا رسول الله ﷺ ومن بقى معه ثم انتصروا وغنموا كثيراً.

(٤) علا: صرعه فجلس عليه .

(٥) بين عنقه وكتفه.

(٦) أي لم انهزم الناس؟ قال قضاء الله.

(٧) البينة: الشهود وسموا بينة لأن بهم بيان الحق وظهوره .

(٨) أي: من يشهد لي بأني قتلت ذلك المشرك الجبار .

(٩) لا ها الله: أي لا والله وإذاً بالألف والتنوين في كل الروايات ولكن أهل العربية يقولون : إن الصواب لا ها والله ذا أي لا والله لن يكون ذا . وقال أبو عثمان المازري ﷺ : معناه لا ها الله ذا يميني أو ذا قسمي ، وقال أبو زيد ذا زائدة وفيها لغتان المد والقصر ، قالوا ويلزم الجر بعدها كما يلزم بعد الواو قالوا : ولا يجوز الجمع بينهما فلا يقال لاها والله .

وَرَسُوله[١] يُعْطِيكَ سَلَبَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَدَقَ فَأَعْطِهِ إِيَّاهُ قَالَ:فَأَعْطَانِي فَبِعْتُ الدِّرْعَ فَابْتَعْتُ بِهِ مَخْرَفًا فِي بَنِي سَلِمَةَ[٢]. فَإِنَّهُ لأَوَّلُ مَالٍ تَأَثَّلْتُهُ فِي الإِسْلامِ[٣]. رواه الأربعة[٤].

قال النووي: وفي الحديث دليل على أن هذه اللفظة تكون يميناً. قال أصحابنا: إن نوى بها اليمين كانت يمينا ، وإلا فلا لأنها ليست متعارفة في الأيمان .

(١) أي يقاتل في سبيل نصرة دين الله وشريعة رسوله ولتكون كلمة الله هي العليا.
وفي الحديث : فضيلة ظاهرة لأبي بكر الصديق في افتائه بحضرة النبي ﷺ واستدلاله لذلك وتصديق النبي ﷺ في ذلك.
وفيه منقبة لأبي قتادة فإنه سماه أسد من أسد الله تعالى يقاتل عن الله ورسوله وصدقه النبي ﷺ وهذه منقبة جليلة من مناقبه .
وفيه أن السلَبَ للقاتل ؛ لأنه أضافه إليه فقال : يعطيك سلبه ؛ ولأن أبا طلحة في غزوة حنين قتل عشرين كافراً وأخذ أسلابهم وحده ﷺ .

(٢) قوله : فابتعت به مخرفاً " : اشتريت به بستاناً ، والمخرف بفتح الميم والراء وهذا هو المشهور. قال القاضي عياض: رويناه بفتح الميم وكسر الراء، والمراد بالمخرف هنا : البستان ،وقيل السكة من النخل تكون صفين يخرف من أيها شاء أي يجني ، وقال ابن وهب: هي الجنينية الصغيرة ، وقال غيره : نخلات صغيرة .
أما المخرف بكسر الميم وفتح الراء فهو الوعاء الذي يجعل فيه ما يجتني من الثمار ، ويقال : اخترف الثمر جناه .

(٣) قوله: " فإنه لأول مال تأثلته في الإسلام أي اقتنيته وتأصلته وأثلة الشيء أصله .

(٤) صحيح البخاري رقم ٤٣٢١، صحيح مسلم – كتاب الجهاد رقم ١٧٥١، سنن أبو داود رقم ٢٧١٧، سنن الترمذي – كتاب السير رقم ١٥٦٢ .

٢٩٣ – نجدة الحروري [١] يسأل ابن عباس – رضي الله عنهما–

عَنْ يَزِيدَ بْنِ هُرْمُزَ أَنَّ نَجْدَةَ الحروري كَتَبَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ– رضي الله عنهما– يَسْأَلُهُ عَنْ خَمْسِ خلال فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْلا أَنْ أَكْتُمَ عِلْمًا مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ[٢] كَتَبَ نَجْدَةُ إِلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ فَأَخْبِرْنِي هَلْ كَانَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْزُو بِالنِّسَاءِ؟ وَهَلْ كَانَ يَضْرِبُ لَهُنَّ بِسَهْمٍ[٣] وَهَلْ كَانَ يَقْتُلُ الصِّبْيَانَ؟ وَمَتَى يَنْقَضِي يُتْمُ الْيَتِيمِ؟ وَعَنِ الْخُمْسِ لِمَنْ هُوَ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَتَبْتَ تَسْأَلُنِي هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْزُو بِالنِّسَاءِ وَقَدْ كَانَ يَغْزُو بِهِنَّ فَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى وَيُحْذَيْنَ مِنَ الْغَنِيمَةِ[٤] وَأَمَّا بِسَهْمٍ فَلا ولَمْ يَكُنْ النبي ﷺ يَقْتُلُ الصِّبْيَانَ وأنت لا تقتلهم[٥] وَكَتَبْتَ تَسْأَلُنِي مَتَى يَنْقَضِي يُتْمُ الْيَتِيمِ فَلَعَمْرِي إِنَّ الرَّجُلَ لَتَنْبُتُ لِحْيَتُهُ وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الأَخْذِ لِنَفْسِه ضَعِيفُ الْعَطَاءِ مِنْهَا فَإِذَا أَخَذَ لِنَفْسِه مِنْ صَالِحِ مَا يَأْخُذُ النَّاسُ فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ الْيُتْمُ[٦] وَكَتَبْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ

---

(١) الحرورية: طائفة من الخوارج ينسبون إلى حروراء قرية بالقرب من الكوفة، كان ابتداء ظهور الخوارج منها على عليٍّ ﷺ بسبب أحموقة ظهرت لهم فضلوا بها ونقضوا العهد وبيعة أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ حينما قبل التحكيم بينه وبين معاوية ووكل عنه أبو موسى الأشعري فقالوا لا حكم إلاّ لله فرد عليهم أمير المؤمنين علي ﷺ بقوله: كلمة حق أريد بها باطل..

(٢) نجدة هذا كان من الحرورية، ولولا خوف ابن عباس من كتمان العلم ما كتب إليه.

(٣) كالمجاهد .

(٤) أي يعطين منها، والحذوة: العطية فإذا حضر العبد والمرأة في الجهاد وعملا ما يناسبهما وحضرت الغنيمة فعلى الأمير أن يرضخ لهما والرضخ هو العطاء القليل أي يعطيهما قليلاً من الغنيمة وليس كسهم رجل مقاتل.

(٥) إلا إذا قاتلوا.

(٦) فلا يزول عنه حكم اليتيم إلاّ إذا صار رشيداً عارفاً بما عليه وماله ، وأما اليتم فإنه يزول بإحدى علامات البلوغ السابقة في الوصية وعلى هذا الجمهور .

الْخُمْسِ لِمَنْ هُوَ وَإِنَّا كُنَّا نَقُولُ هُوَ لَنَا فَأَبَى عَلَيْنَا قَوْمُنَا ذَاكَ[١].

رواه الخمسة إلا البخاري[٢].

وفي رواية لمسلم: كتب له يسأله عن العبدِ والمرأةِ يحضران المغنم هل يقسم لهما؟ فقال ابن عباس: لولا أن يقع في أحموقة ما كتبت إليه[٣]. ثم كتب له: ليس لهما شيء إلاّ أن يحذيا، وقال له في الولدان: لا تقتلهم إِلا أَنْ تَعْلَمَ منهم مَا عَلِمَ صاحبُ موسى مِنَ الغلام الَّذي قَتَلَهُ[٤].

---

(١) الخمس يتولاه الإمام ولكنه ينفق منه على المذكورين في آية الأنفال﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ من الآية رقم ٤١. وأولاد النبي ﷺ وقرباه لهم منه سهمان.

(٢) التاج الجامع للأصول ج ٤ ص ٢٣٨٣ ج ٥ هامش ص ٣١٤.

(٣) الأحموقة هي أن يرى رأي إخوانه الخوارج الذين يجهلون من الشرع كثيراً.

(٤) صاحب موسى هو الخضر علم الكفر من الغلام فقتله لأنه خلق مطبوعا على الكفر.

ويؤخذ من الحديث:

- إذا سئل العالم عن علم فلا يكتمه حتى لو كان السائل من الخوارج وأهل البدع وخاصة إذا كان السائل في حاجة إلى هذا العلم.
- جواز اختلاط النساء بالرجال للضرورة وكذا معالجة المرأة الأجنبية للرجل الأجنبي للضرورة.
- أن المرأة والعبد إذا حضروا القتال لا يكون سهمهم مثل سهم الرجال.
- رحمة النبي ﷺ بالأطفال والنساء والشيوخ الذين لم يقاتلوا المسلمين.

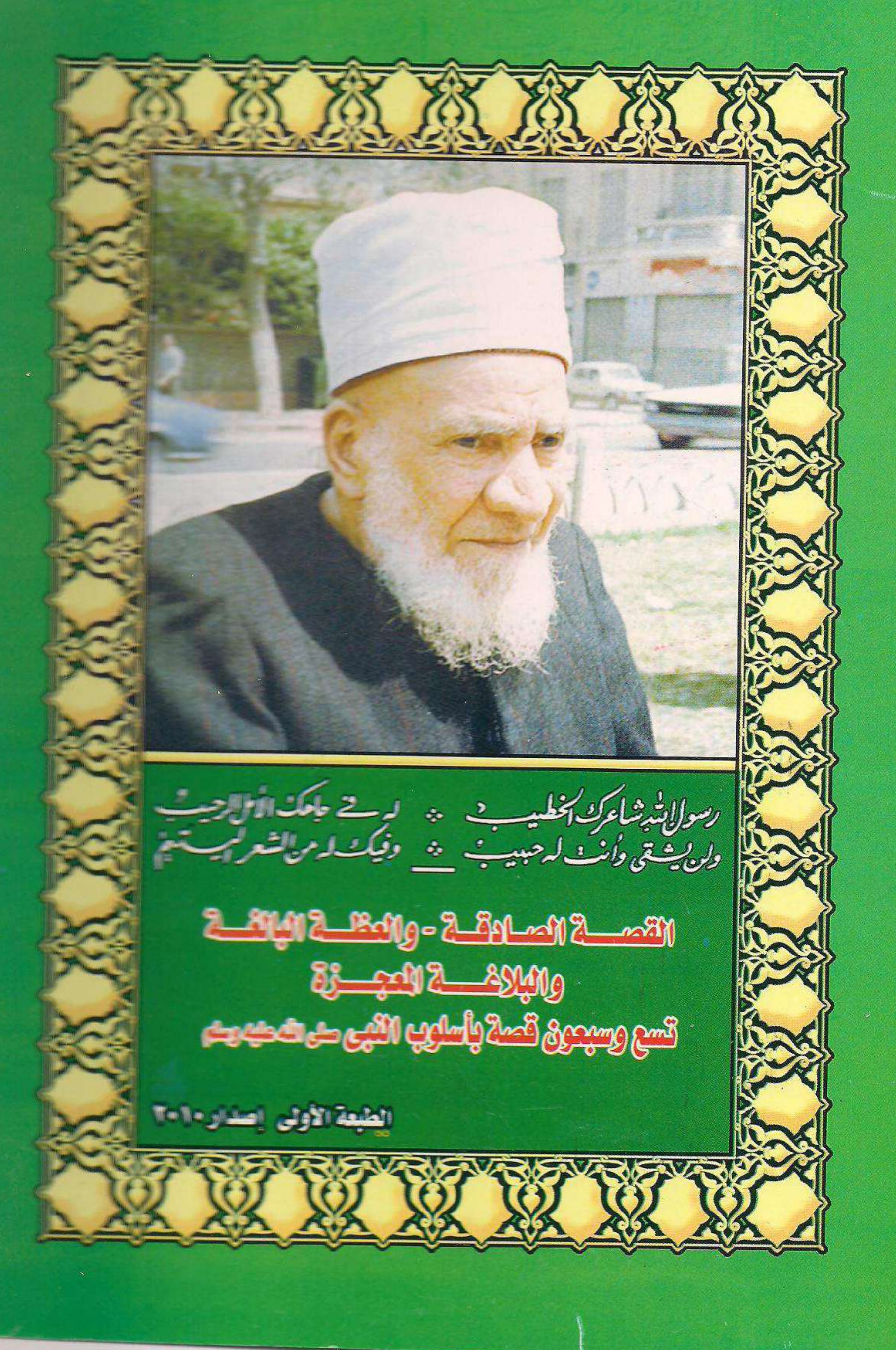
(تم بحمد الله)

في يوم الجمعة غرة المحرم ١٤٣١ هـ

الموافق ١٨/١٢/٢٠٠٩م.

فهرس

رقم الإيداع : ١٦١٣٨ / ٢٠٠٩م


رسول الله شاعرك الخطيب ❊ له في حبك الأمل الرحيب
ولن يشقى وأنت له حبيب ❊ وفيك له من الشعر
القصة الصادقة - والعظة البالغة
والبلاغة المعجزة
تسع وسبعون قصة بأسلوب النبى صلى الله عليه وسلم
الطبعة الأولى إصدار ٢٠١٠